الكتاب الثاني

من سلسلة :

رسائل ومقالات

محمود محمد طه

الطبعة الاولى
ربيع الثاني ١٣٩٣
مايو ١٩٧٣

الكتـــاب الثـــانى

من سلسلـــة

رســـــائل ومقـــالات

محمود محمد طـه

الطبعة الاولى

ربيع الثانى ١٣٩٣ مـــايو ١٩٧٣

الاهــــــداء : ــ

الذين يتعلمون العلم النافع ، ويعلمونه الناس ..

والذين يهتدون بالعلم ،

ويهدون به ..

فان العلم هو وقود الفكر ..

والفكر هــو ســر الحياة !!

الفكر هــو اكســير الحياة !!

الفكر الحيــاة ؟؟

بسم الله الرحمن الرحيم

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا »

صدق الله العظيم ..

المقـــــدمة

الحمد لله الذى علمنا .. قال تعالى فى ذلك : « الرحمن * علم القرآن * خلق الانسان * علمه البيان » .. وقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذى علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم » ..

والحمد لله الذى ، اذ علمنا ، أدبنا .. قال تعالى : « ويسألونك عن الروح ، قل : الروح من أمر ربى .. وما أوتيتم من العلم الا قليلا .. » ..

والحمد لله الذى ، اذ علمنا ، واذ أدبنا ، وعدنا منه وعدا حسنا ، وذلك بمواصلة تعليمنا ، واطراده ، وزيادته ، كل حين .. قال تعالى فى ذلك : « يسأله من فى السموات والأرض .. كل يوم هو فى شأن » .. وانما شأنه تبارك ، وتعالى ، ابداء ذاته لعباده ليعرفوه .. شأنه هو تعليمه ايانا ، فى كل لحظة جديدة علما جديدا ..

أما بعد ، فهذا كتاب فى اتجاه التعليم ، وفى أتجاه زيادة التعليم ، باطراد .. اسمه : « رسائل ومقالات » الكتاب الثانى ، وقد سلفه « رسائل ومقالات » الكتاب الاول ، وستتلوه ، ان شاء الله أخر فى هذه السلسلة التى أرجو لها الاتصال ..

هذا الكتاب يحوى رسائل ومقالات جرت بيننا وبين بعض الفضلاء من المواطنين الكرام ، وهى تحوى ، فى جملتها ، أشتاتا من الآراء ، والافكار ، حول شتى المسائل التى تهم الناس .. ونرجوه أن يجد فيها القراء الكرام المتعة والفائدة المبتغاة .. انه سميع قريب مجيب ..

سعيد يتساءل

بسم الله الرحمن الرحيم

(الذين قال لهم الناس : ان الناس قد جمعوا لكم ، فاخشوهم ، فزادهم ايمانا ، وقالوا : حسبنا الله ، ونعم الوكيل) ..

صدق الله العظيم

جريدة الشعب — السبت ١٩٥١/١/٢٧ م

حضرة صاحب جريدة الشعب ص ب ٢٢٦ الخرطوم ..

تحية ، وبعد : —

فقد اطلعت ، بعددكم السادس ، على كلمة من الأخ سعيد يتساءل فيها عنى ، وقد أعلم ان كثيرا من الأخوان يتساءلون ، كما تساءل ، فلزمنى لهم حق الشكر ، ولزمنى لهم حق الايضاح ..

عندما نشأ الحزب الجمهورى أخرج ، فيما أخرج ، منشورين : أحدهما بالعربية : « قل هذه سبيلى » ، والآخر بالانجليزية : ISLAM THE WAY OUT ضمنهما اتجاهه فى الدعوة الى الجمهورية الاسلامية .. ثم أخذ يعارض الحكومة فى الطريقة التى شرعت عليها تحارب عادة الخفاض الفرعونى ، لأنها طريقة تعرض حياء المرأة السودانية للابتذال ، وعلى الحياء تقوم الأخلاق كلها ، والأخلاق هى الدين ..

ثم نظرت موضوع الدعوة الى الاسلام ، فاذا أنا لا أعرف عنها بعض ما أحب أن أعرف .. فان قولك : « الاسلام » كلمة جامعة ، قد أسىء فهم مدلولها الحقيقى ، لأن الناس قد ألفوا ، منذ زمن بعيد ،

ان تتصرف اذهانهم ، عند سماعها ، الى ما عليه الأمم الاسلامية اليوم من تأخر منكر •• وما علموا أن المسلمين اليوم ليسوا على شئ ••

فأنت ، اذا أردت أن تدعو الى الاسلام ، فان عليك لان ترده الى المعين المصفى الذى منه استقى محمد ، وابو بكر ، وعمر •• والا فان الدعوة جعجعة لا طائل تحتها •• ولم تطب نفسى بأن أجعجع ••

وبينما أنا فى حيرة من أمرى اذ قيض الله « مسألة فتاة رفاعة » ، تلك المسألة التى سجنت فيها عامين اثنين ، ولقد شعرت ، حين استقر بى المقام فى السجن ، انى قد جئت على قدر من ربى ، فخلوت اليه •• حتى اذا ما أنصرم العامان ، وخرجت ، شعرت بأنى أعلم بعض ما اريد •• ثم لم ألبث ، وأنا فى طريقى الى رفاعة ، أن أحسست بأن على لأن أعتكف مدة أخرى ، لاستيفاء ما قد بدأ •• وكذلك فعلت ••

فهل حبسنى ابتغاء المعرفة ؟؟

لا والله !! ولا كرامة •• وانما حبسنى العمل لغاية هى أشرف من المعرفة •• غاية ما المعرفة الا وسيلة اليها •• تلك الغاية هى نفسى التى فقدتها بين ركام الأوهام ، والأباطيل •• فان على لان أبحث عنها على هدى القرآن — أريد أن أجدها •• وأريد ان أنشرها •• واريد أن أكون فى سلام معها ، قبل ان أدعو غيرى الى الاسلام •• ذلك أمر لا معدى عنه •• فان فاقد الشئ لا يعطيه •• فهل تريدون ان تعلموا أين أنا من ذلكم الآن ؟؟ اذن فاعلموا : انى قد أشرفت على تلك الغاية ، ويوشك أن يستقيم لى أمرى على خير ما أحب ••

محمود محمد طه

رفاعه

أو ما علمت أن الأرض قد التحقت بأسباب السماء

تعقيب على الأستاذ محمد محمد على

جريدة الجمهورية ١٩٥٤/٢/٥

أخى محمد .. تحيتى واحترامى ..

وبعد ، فقد قرأت لك كتابك القيم ، الذى تعرضت فيه لمناقشة خطابنا الى رئيس منظمة اليونسكو ، ولقد طابت لك نفسك ان تسوق كتابك الضافى تحت عنوان طريف : « تكرموا بانزال الفلسفة من السماء الى الارض » ، وهو عنوان بارع يدل ، من الوهلة الاولى ، على ما ينتظر القارىء من نظرة عملية ، وواقعية .. ولست أريد أن أطيل وقوفى هنا ، ولكنى لا أحب ان ازايل مقامى هذا قبل أن أؤكد لك ان الارض فى تفكيرى قد التحقت بأسباب السماء .. فلست أرى ارضا ، ولا سماء ، وانما وحدة اتسقت فيها العوالم ، من الدرارى ، الى الذرارى ، فى غير تفاوت نوع ، وأكاد أقول : ولا تفاوت مقدار ، وانما هو التعاون المتضافر على الدلالة على وحدة المعانى ، القائمة وراء تعدد الشخوص ، وتلك دلالة يستوى فيها جبريل ، وابليس ، فى البلاغة ، والتبليغ .. فاذا انحط النظر عن ذلك ، فانما هو اللمح الذى يرى أوائل الاشياء واواخرها ، ثم يسلسل ، فى تنسيق متحد ، مقدمات النتائج المبتغاة ، تسلسلا دقيقا ، لا يسبق فيه فاضلا مفضول ، وانما هو القسط ، والعدل ..

واما قولك : « ولست اريد اليوم أن اناقش كل ما ورد فى خطابك المثالى ، فسأتجاوز الحكومة العالمية ، لأنى أعتقد ان الحكومة العالمية ،

اذا قدر لها أن تقوم ، فسيكون قيامها نتيجة لحسم المشكلات ، والقضاء على المظالم ٠٠ ستقوم حين يقبر الأستعمار ، والاستغلال ، وتسود الناس روح المودة ، والعطف ، فينظر المرء الى أخيه بعين الانسان ، لا بعين الذئب » . فقول حصيف ، ولكنه لا يقال لمثلى ، لأنك تعلم انى أرى نفس الرأى ، وأعمل له ، فى متقلبى ومثواى ٠٠ واما قولك ، من نفس الفقرة ، المتقدمة : « فالتفكير فيها الآن وثوب الى النتيجة قبل احكام المقدمات ، واعداد الوسائل » ، فقول ضحل ، وما احب لك أن تتورط فيه ٠٠ والا فانك تعلم ، كما اعلم ، انك ، ان لم تفكر فى النتائج ، لا تحكم المقدمات ، ولا تحسن التوسل ، وانما تسير ونظرك تحت قدميك ، اما لهذا ، واما لذا ٠٠

واما تشكك فى أن تكون فكرتى عن اثر الآلة فى التعليم المعاصر ، ومناهجه ، مستقاة من استقصاء لا مبالغة فيه ، فتشكك مردود ، لانك لا تقيم عليه ، بل انك ، فى الحقيقة ، توافقنى ، من حيث لا تريد ٠٠ فانت تزعم : « ان المؤثر القوى فى منهج التعليم ، وغاياته ، والانتاج الفكرى ، ليس الآلة ، ودقتها ، بل هو نوع الحياة الاقتصادية ، والاجتماعية ، الذى تخضع له الشعوب ٠٠ فالتعليم الذى تدعو اليه منظمة اليونسكو مختلف فى وسائله ، وغاياته ، عن التعليم الذى تمارسه الكتلة الشرقية من أوروبا » ٠٠ وانت بهذا الزعم تنظر الى الشيوعية ، والرأسمالية ٠٠ ولكن ما قولك فى من يخبرك ان الشيوعية ، والرأسمالية اللتين تعترف بقوة اثرهما على التعليم ، ومناهجه هما نفسهما ، أثر من آثار الآله ؟؟ فكأنك ، بزعمك هذا تنسب النتائج الى نتائج ، ولا ترجع بها الى الاسباب الاولى ٠٠

واما قولك عما عبته انا عن أثر الآلة على التعليم ومناهجه : « ولكن ما رأيك اذا قلت لك أن هذا اللون من العادات الفكرية ، والملكات النفسية ، هو ما نحتاج اليه ، نحن الشرقيين ، ليحد من أطراف حريتنا

المثالية الحالمة ، فهو ، على ما به من قتام ، وآلية ، ثمرة ، مهما يكن طعمها ، من ثمرات العلم ، والنظرة الموضوعية •• وهو ، وان لم يكن المثل الأعلى للحياة ، فانه أقرب اليه من احلامنا الهائمة ، وجبريتنا الصوفية » ، فقول حسن ، ولكنى أحب لك ، وللشرقيين ، احسن منه حين أدعو الى النهج الذى : « يؤلف بين القيم الروحية ، وطبائع الوجود المادى ، تأليفا متناسقا ، مبرأ ، على السواء ، من تفريط المادية الغربية التى جعلت سعى الانسانية موكلا بمطالب المعدة ، والجسد ، ومن افراط الروحانية الشرقية التى أقامت فلسفتها على التحقير من كل مجهود يرمى الى تحسين الوجود المادى بين الأحياء •• » وانا لم ازعم قط ان : « معين العطف ، والشوق ، والنزوع الى حياة أفضل ، واكرم ، من الحياة الماثلة » ، ، قد نضب فى نفوس البشر •• فالناس عندى ، كما عندك ، « مذ كانوا ابناء حاضرهم ، ورواد مستقبلهم » •• ولكن على تفاوت بينهم فى الريادة •• فمن الناس من لا يرى الى أبعد من أنفسه ، ومنهم من تنتجاب عن بصيرته سحب الظلمات ، وحجب الانوار ، فيرى ورود الحياة ، وصدورها ، ويرى سيرها فيما بين ذلك ••

واما قولك : « وعندما كان عماد الحياة الحيوان فان انتاج الناس ، فى الحياة المادية ، والفكرية ، كان متأثرا بالحيوان ونشاطه ، مستشرفا الى جياة أرقى ، وأكمل •• » ، الى قولك « وقد حلت الآلة اليوم محل الحيوان ، فهى لابد مؤثرة فى انتاج المنتجين ، وهى لابد عاجزة ، كما عجز الحيوان ، من قبل ، عن السيطرة على جميع الدوافع النفسية ، والحوافز التى تدفع بركب البشرية الى الأمام » ، فقول يعجبنى ، ويسرنى ، ولكنى لا أجده ردا على •• فانى انما صورت الأثر الغالب على مناهج التعليم ، وغاياته ، فى عصرنا ، هذا الآلى ، وقلت : « وكذلك أصبح التعليم مهنيا فى أكثر أساليبه » •• ولم أقل ان الآلة استأثرت بجميع الدوافع التى تدفع بركب البشرية الى الامام ، ولذلك فان قولك

عنى : « فالصورة التى رسمتها للتعليم ، والانتاج ، تحمل الشىء الكثير من أعراض التشاؤم » قول مردود •• فان أملى فى مستقبل البشرية لا يدع مجالا للتشاؤم •• وهو أمل لا يقوم على الظن ، وانما يقوم على يقين لا ارتاب فيه ، وعندما بدا لك ، فى خطابى شىء منه يسير ، ظننته أنت مما يدخل فى باب « اليوتوبيات » ••

وأنت تزعم ان نوع التعليم الذى ادعو اليه فى خطابى غير مفهوم •• وأرى من حقك على أن أكون مفهوما •• « فغاية التعليم عندى ان يحرر الانسان من الخوف •• وتحريره انما يكون بتصحيح تلك الصورة الخاطئة ، الشائهة ، التى قامت فى خلده عن الحياة ، وعن قانونها » •• وهذا قول تقرنى انت عليه ، ولكنك تقول : « وللقارىء الحق فى ان يفهم انك تدعو الى التربية الطبيعية ، والى سيادة العلوم الطبيعية •• فالعلم وحده هو الذى يستطيع ، بقدر ما وصل اليه من كشف ، ان يعطينا صورة صحيحة عن أصل الحياة ، وقوانينها ، وأن يقصى ، عن أذهاننا ، الصورة الاسطورية الشائهة » •• وانا فعلا ادعو الى التربية العلمية ، والى سيادة العلوم الطبيعية •• والذى نريده حقا ، الى علم الظواهر ، هو علم ما وراء الظواهر ، فانه وحده الذى يطلع على الحقائق التى ، بالاطلاع عليها ينتفى الخوف •• ولقد فصلنا رأينا عن هذا التعليم ، وعن تعليم العلم التجريبى ، فى كتيب الجمهوريين : « قل هذه سبيلى » ، الذى صدر منذ حين ، تفصيلا يغنينا عن الاسهاب هنا •• فأرجو ان ترجع اليه لتعلم مبلغ الخطأ فى قولك : « وهذا الضرب من الخوف لا يعنينا فى مشكلة التعليم •• وهو ، اذا كان معتدلا ، أمر لابد منه لحفظ الذات من الكوارث ، وليس من الخير أن نستأصله استئصالا ، فالخوف من المكروب ، والخوف من الحريق ، الخ مهم ، وسلاح لابد لنا من حمله » ••

وأما قولك : « والعلم عندك كامن فى النفس أيضا ، بل هو جوهر

النفس ، مغلف بطبقة كثيفة ، مظلمة ، من الاوهام ، والخـــرافات ، والمخاوف ، الموروثة •• وهنا يبرز افلاطون صريحا يتحــدث الينا فى خطابك » ، فهو قول مؤسف حقا •• فانت شاب مثقف ، مسلم ، ولا تعرف هذا القول الذى تنكره الا عن طريق افلاطون •• ليت شعرى !! فــأين يذهب بك عن قول الله تعالى : « كلا !! بل ران على قلوبهم ما كانـــوا يكسبون •• » ؟؟ وعن قوله تعالى : « لقد كنت فى غفلة من هذا ، فكشفنا عنك غطاءك ، فبصرك اليوم حديد •• » ؟؟

وانت تورد قول افلاطون : « ان العلم تذكر النسيان » وتزعم ان أرسطو قد قضى ، قضاء مبرما ، على علم النفس الافلاطـــونى •• فما رأيك فى قول القرآن : «ولقد يسرنا القرآن للذكر •• فهل من مدكر ؟؟»؟؟ هل قضى عليه ارســـطو أيضا ، قضاء مبرما ، ام انت لا ترى منـــه ما اراه ؟ ؟

وتسألنى : « فماذا فهم الرجل ، وربك ، من هذه القصــــة ذات القشرة ، ومن المادة التى صنعت منها الأحلام ، وصنع القـــرآن ؟؟ » واجيبك : ان هذا لا يعنينى ، بقدر ما يعنينى ان أسجل ما اراه الحق ، وان ادعو اليه •• وسيهتدى به اناس ، وسيضل به آخرون ••

وتسألنى : « لو فرضنا ان وصفك الشعرى ينطبق على القرآن ، الا يمكن ان ينطبق على جميع الكتب الدينية ، وعلى الفنـــون ، وعلـــى الميثلوجيا ، أيضا ؟؟ » والجواب قريب ، وهو ان الكتب الدينية جميعـــا والفنون ، والميثلوجيا ، كل اولئك معارج من معارج الحق ، على تفاوت بينها ، فى القرب والبعد ، وكل ما هناك ان القرآن مهيمن عليها جميعـــا وجامع لما تفرق فيها ، من اشتات الحقائق ، فهو أعلاها مرتبة ، واقربهـــا افضاء اليه فما ينطبق عليه ينطبق عليها ، على تفاوت بينها ، فى الشمول والقصور ••

أما بعد ، فانى اشكر لك خطابك الممتع حقا •• وأؤكد لـــــك ان

نشاطي الذهني لا يذهب في المجارى التى لا تعدو حدود التأملات الفردية ، ولا الفروض المثيرة للجدل العقيم ، وانما أنا طالب حق ابتغيه فى مظانه ، ثم لا امارى فيه ، الا مراء ظاهرا .. وانا موقن ، كل الايقان ، أن هذا الوجود قائم على الحق ، وان الباطل فيه عارض من عوارض النقص ، فلا يلبث ان يزول .. وان هذه الارض قد التحقت باسباب السماء ، فلا يصلحها ، منذ اليوم ، الا تشريع يقوم على الحق الذى لا مراء فيه ..

وتسألني ما الحق الذى لا مراء فيه ؟؟

واجيب : انه الارادة المتوحدة ، التى انفردت بالهيمنة على الظواهر الطبيعية ، فى الارض ، كما فى السماء ، وهدت الحياة سبيلها ، فى النور كما فى الظلمات ، ثم استعصمت بخفاء لا يعين على استجلائه غير قرآن الفجر .. « ان قرآن الفجر كان مشهودا » ..

محمود محمد طه

التعليم

خطاب الى عميد معهد بخت الرضا الأستاذ عثمان محجوب

كانت وزارة المعارف ، فى أواخر عام ١٩٥٨ ، قد استدعت لجنة تجلس فى الخرطوم ، فترفع ، توصياتها بخصوص السلم التعليمى ٠٠ فكانت لجنة عكراوى ٠٠ وكان الاستاذ عثمان محجوب ، عميد معهد بخت الرضا يومئذ ، معنيابهذه اللجنة ، بصورة خاصة ، وقد طلب الى أن أحاول تقديم بحث عن التعليم بمناسبة انعقاد جلسات هذه اللجنة ٠٠ فكانت النتيجة هذا الخطاب : ـ

الخرطوم فى ٢٤ر١٢ر١٩٥٨

عزيزى عثمان :

تحية طيبة ، وأرجو أن تكون قد وصلت بخير ٠٠

وبعد ، فبالاشارةللمحادثة ، قبيلسفرك ، فانى ارسل اليك ببعض ما ارى فى مسألة التعليم ، وارجو أن يكون له فى نفسك وقع حسن ٠٠ فانى ارى انه لابد ، لتخطيط مناهج التعليم ، من الرجوع الى الاصول ، اذا ما اردنا تعليمنا ان يكون مثمرا ، ونافعا ٠٠ والنظرة العجلى للاصل تدلنا على ان مناهج التعليم التى نرسمها يجب ، قبل كل شىء ، ان تهدف الى تعليم الطالب كيف يعلم نفسه ، وكيف يكلف بمواصلة هذا التعليم ، طوال حياته ، التعليم الذاتى ٠٠ واما حشو ادمغة الطلبة بطائفة مختارة من المعلومات المتنوعة ، والكثيرة ، والتى يجلس احدهم ليجوز الامتحان فيها ليواصل سيره فى المراحل المختلفة فانها طريقة فاشلة ، وفى الحقيقة ، مضرة ٠٠ والواقع ان الحياة نفسها تتطلب من الانسان ان يظل طالب علمطوال حياته ٠٠ فان نحن استطعنا

ان نعطيه ، فى التعليم النظامى الذى تقيمه الحكومات المتمدينة ، الاسلوب العلمى الذى به يستطيع ان يعلم نفسه فقد اعددناه للحياة الاعداد المطلوب ..

ان فائدة التعليم لهى فى مقدرة المتعلم ان يوائم بين نفسه وبين بيئته .. ووظيفة التعليم انما هى ان يأخذ المتعلم صورة كاملة وصحيحة عن البيئة التى يعيش فيها .. ولقد اشرت آنفا الى الاصول ، وقلت لابد من الرجوع اليها ، اذا ما أردنا أن نخطط مناهج التعليم ، تخطيطا رشيدا .. وأول ما يجب تقريره ، فى الاصول ، ان الانسان لا يختلف عن الحيوان اختلاف نوع ، وأنما هو أختلاف مقدار .. ومعنى هذا أن الحيوان قابل للتعليم ، وأن الانسان قابل كذلك ، غير ان قابلية الانسان تفوق قابلية الحيوان عدة مرات . والانسان بغير تعليم ، لا يتميز عن الحيوان ، الا قليلا ..

وهذا القليل انما يأتيه ، خلاف الوراثة ، من قبيل انه ، بخلاف الحيوان يعيش فى مجتمع منظم بعرف ، وتقاليد ، وقانون .. فهو يخضع ، فى حدود كبيرة ، لنظام الجماعة ، وفى اثناء خضوعه يتعلم ، ويتهذب ، ويمارس السيطرة على نفسه ، بفضل العرف ، والتقليد ، والقانون ..

والانسان ، قبل ان يعيش فى المجتمع ، كان حيوانا فرديا فاضطرته قسوة الحياة ، فى بيئته الطبيعية ، ان يخترع نظام الجماعة ، وان ينزل عن قسط كبير من حريته الفردية ، فيضبط غرائزه البدائية ، مراعاة لحريات الاخرين .. وليس ، بالطبع هناك انسان بعينه ، فى زمان بعينه ، جلس الى نفسه فاخترع نظام الجماعة ، وانما هو تراث بشرى طويل ، لم يجىء دفعة واحدة ، فى زمن واحد ، وانما جاء على تراخى الزمن ، وبحكم التطوير البطىء جدا ، فى سحيق الآماد ، ثم فرض على الافراد فرضا ، فاضطرهم الى السيرة المتمدنة اضطرارا .. فان عيش الفرد فى المجتمع يفرض عليه قواعد

سلوكخاصة ، فى الكسب وفى الانفاق ، وفى السيرة العامة بين الناس ، وقت السلم ، ووقت الحرب •• وفى الزواج ، وفى بناء الاسرة ، وفى اعالتها وحمايتها ، للى غير ذلك •• وهذه القواعد ، المرعية بالعرف حينا ، وبالقانون حينا آخر ، تكون جرثومة الحضارة البشرية ، ولها فضل كبير فى تعليم الافراد ، وتهذيبهم ، قبل ان ينشأ التعليم النظامى الذى نعرفه اليوم ••

ولقد نخرج مما تقدم بمقدمتين •

١) ان الحرية الفردية لدى الانسان هى الاصل ••

٢) ان الحرية الجماعية لا تقوم الا على الحد من الحرية الفردية وهى ، فى الحقيقة ، وسيلة اليها ، وليس بينهما ، فى حقيقة الامر ، تعارض ، وان بدا هذا التعارض ، لدى النظر القصير ••

ومن هاتين المقدمتين نتوصل الى نتيجة واحدة وهى :ــ

١) اى تعليم يجب ان يمكن الفرد من التحقيق التام للتوفيق بين الحرية الفردية ، والحرية الجماعية ، حتى لا يعيش فى عداء مع نفسه ومع مجتمعه •• والحق ان الفرد الذى يستطيع ان يعيش ، عيشة فردية ، مستقيمة ، حرة ، خصبة ، منتجة ، يستطيع ان يعيش فى المجتمع فيكون مفيدا ، نافعا ، منتجا •• بل أنه ليستمد سعادته الفردية من اسعاد الآخرين ••

فاذا كان ما تقدم صحيحا فقد يبدو ان التعليم يجب ان يقع فى قسمين كبيرين : ــ

١) التعليم المهنى • ٢) التعليم الخلقى ••

أما الاول فضرورى ، لان المجتمع لا يخدم ، خدمة نافعة معينة على التقدم والتمدن ، الا بفضل المهارة المهنية •• هذا الى جانب اهمية المهارة المهنية للحرية الفردية نفسها ، ذلك بان الانسان ، بالعمل المتقن ، يحقق

شخصيته ، ويصحح رأيه فى نفسه ، ويوجد التجانس ، والتوحيد ، بين عقله ، وجسده ، هذا بفضل المجهود الموحد الذى يتطلبه العمل المتقن من كل من اليد ، والعين والعقل ، فى آن واحد ..

وأما التعليم الخلقى فضرورى ، لان المجتمع لا يعاشر بشىء كما يعاشر بالخلق .. والحق ان القانون نفسه طرف من الاخلاق .. وهذا الى جانب ان الخلق يجعل الفرد يحسن التصرف فى معاشرة مجتمعه بطريقة تلقائية ، لا يراعى فيها جانب القانون ، ولا الخوف من العقوبة التى تترتب على المخالفة .. فيكون سلوكه ، فى المجتمع مستمدا من قيمه الخلقية ، ومن محاسبة ضميره اياه ، لا من خوف العقاب .. وهذا لما يحقق الحرية الفردية العالية ، ويحقق التوفيق بين حرية الجماعة وحرية الفرد .. ويفض التعارض البادى بينهما ، لدى النظرة القصيرة ..

١) التعليم المهنى

واعنى بهذا كل تعليم يعين على اتقان عمل جسدى ، بصرف النظر عما اذا كان حظ الفكر فى العمل اكبر ، كالبحث العلمى التجريبى فى المعمل ، مثلا ، او كان حظ البدن اكبر ، كاعمال النجارة فى الورشة ، مثلا .. فانى اسمى كل هذه الاعمال مهنية .. يستوى عندى فيها الفلكى والرياضى ، والعالم الطبيعى ، والطبيب ، والمهندس ، والنجار والبناء كل أولئك مهن ، وكلها يتطلب اتقانا ، ومهارة ، مما يوجب التدريب ، والتمرين .. وبالطبع فان كل مسئول عن التعليم المهنى يجب ان يعطى المتعلمين اقصى قدر ممكن من التدريب ، والتعليم النظرى ، حتى يبلغوا ، باتقان مهنهم ، المبالغ .. ولكن ذلك لا يكون يسيرا ولا ميسورا .. وحسبنا ان البشرية سائرة ، فى كل حين ، نحو الاتقان ، والتجويد .. وفى بلد كبلادنا فانا بحاجة ماسة الى البدايات نفسها ، لاننا قل ان نعمل هنا عملا ، فى الوقت الحاضر ، بطريقة علمية ، متقنة ، الا فى القليل

الناس ..

سيكون تعليمنا المهنى مقيدا بثلاثة قيود : ـ

١) امكانياتنا المالية .. ٢) مواهب اطفالنـــا ..

٣) حاجة البلاد لانواع المهن المختلفة ..

١) واعنى بالامكانيات المالية : مقدرتنا على بنـاء دور العلـم واستجلاب المعدات الضرورية للبحث العلمى ، واعداد المدرســين ، المدربين تدريبا كافيا .. هذا الى جانب رفع مستوى حياة المواطنين عامة وتحسين حالة الاسر ، الصحية ، والعقلية .. (٢) واعنى بمواهب اطفالنا عدد المؤهلين منهم ، بالفطرة ، ليكونوا مهندسين مهرة ، واطباء مقتدرين ، ورياضيين ضليعين .. فانا يجب أن نكتشف الموهبة الطبيعية ، فى كل طفل ثم نعمل على تنميتها ، وتثقيفها .. فانه ليس فى طوق كل طفل أن يكــون طبيبا .. واذا حاولنا ان نخلق من الموسيقار الموهوب ، مثلا ، طبيبــا ، قديرا ، فانا قد نضيع الموهبة التى فيه ، ونضعه فى غير موضعه ، ونضيع بذلك ، على المجتمع عدة مزايا .. فيجب ، اذن ، اكتشاف المواهب أولا ، ثم تشجيعها بالتعليم ، والتثقيف ، لتبرز خير ما فيها لمصلحة صاحبهــا ، ولمصلحة المجتمع برمته .. يستوى فى هذا بالطبع الرجال ، والنساء ..

٣) واعنى بحاجة البلاد لانواع المهن المختلفة : اننا يجب ان نوجه التعليم المهنى ، بعد ان نكتشف عن المواهب الطبيعية لدى الاطفال الذين بين ايدينا ، فنوجه لمهنة الهندسة المدنية ما نعتقد اننا سنحتاجه فى كذا من السنين ، وكذلك للطب ، ولغيرهما من المهن .. وغرضنا وراء ذلــك بالطبع رفع مستوى معيشة المواطنين ، من جميع وجوهها : الماديــة ، والصحية ، والعقلية ، مراعين فى ذلك المساواة ، من جميع هذه الوجوه ، بين جميع المواطنين ، سواء كانوا فى الحضر ، أو فى البادية .. ويجــب الا ننشىء المدن الكبيرة على حساب الريف ، فنترك بعض المواطنين رحلا ، كما هم ، ثم نطور المدن تطويرا يجعل البون شاسعا بين الحضريــين

والبادين بل يجب ان نعمل على توطين البادين من مواطنينا ، بتوفير مياه الشرب لهم ، ولمواشيهم ، وباعداد المراعى المستديمة ، بطرق الرى الحديثة ، وبحفظ العلف ، بالطرق الفنية الحديثة حتى يستقروا فى مكان واحد ، وحتى يربوا مواشيهم بالطرق العلمية الحديثة نهتم بالكيف ، اكثر مما نهتم بالكم ، وبذلك نستطيع ان ننشر التعليم ، والتمدين ، بينهم ، بنفس المستوى الذى ننشرهما به فى المدن ●● وكل ما هناك ، من فرق ، انما يكون فرق مقدار ، لا فرق نوع ، ذلك بان التعليم المهنى للارياف سيكون فى سبل الزراعة وتربية الحيوان ، وتصنيع منتجات الحيوان ، ومنتجات الزراعة ، بينما التعليم المهنى فى المدن قد يكون فى الصناعة ، والتجارة ، وما شابههما وطبعا هذا لا يعنى الا يتعلم سكان الارياف ما يتعلمه سكان المدينة ، ولكن يعنى ان نوع تعليمهم ، فى الغالب الاعم ، وعلى الخصوص فى البداية ، سيكون المقصود منه اعدادهم لبيئتهم اعدادا نافعا ●● وما يقال هنا عن الارياف يقال مثله عن المدن ●●

اقترح الا يكون عمل لجنتكم قاصرا على جانب التعليم وحده لان التعليم انما يمارس فى المجتمع ●● وهناك مسائل كثيرة تؤثر على المجتمع ، وتؤثر ، من ثم ، على التعليم ●● فاذا ما اهملت هذه المسائل الكثيرة ، ثم اقتصر الكلام على التعليم وحده ، فلن يكون مثمرا ، الثمر المطلوب ، لان الطفل لا يجىء للتعليم الا بعد ان تكون المؤثرات الاولى على شخصيته قد عملت عملها فيه ، مما لا يستطيع التعليم ، فيما بعد ، ان يصحح ما افسدت ●● وهذه المؤثرات الاولى تجىء من بيئته المنزلية ، ووسطه فى الحارة ، والشارع ، والحى ●● ثم ان الطفل لا يكون فى المدرسة الا جزءا يسيرا من يومه ، يعود بعدد الى هذه البيئة التى يكون اثرها عليه ، دائما ، ابلغ من أثر المدرسة

ولذلك فيجب على رجل التعليم ان يعنى ، بعض الشىء ، بهذه البيئة ، وان كانت ، فى تفاصيلها ، تخص رجالا اخرين ، غير رجال التعليم ... ولكن يجب ان يتضافر مجهود كل الهيئات لينتج الرجال الصالحين للغد من اطفال اليوم .. وانا شخصيا أعتقد ان وزارة المعارف فى البلاد يجب ان تكون اكبر وزارة ، وان يكون لها اشراف تام على (المورد البشرى) عندنا ، لانها هى التى سترعى نوعه ، وتتعهده بالتهذيب الذى بدونه لا يكون الانسان خيرا حالا من الحيوان ..

يجب أن يكون من حقها الاشراف على الاطفال من قبل أن يولدوا وذلك بتنظيم الزواج ، والتأكد من أن الفتى والفتاة ، اللذين ينويان الزواج صحيحان ، وخليقان ، بأن ينجبا اطفالا اصحاء .. ثم برعاية الامومة ، اثناء الحمل .. ثم برعاية الطفولة ، فى السنين المبكرة .. ثم باستلام الطفل فى سن ابكر مما نفعل اليوم .. يجب أن تكون لنا مراحل من التعليم تأخذ الاطفال فى سن الخامسة مثلا .. على أن يكون التعليم مختلطا بين البنين والبنات ، ومعدا فى كل قرية من القرى .. وليكون ذلك عمليا فيجب تجميع البيوتات القليلة فى القرى الصغيرة على بعض فى موضع مناسب ، حتى تنشأ منها قرية محترمة ، مخططة تخطيطا صحيا حديثا ، وبها تنهض جميع المرافق الضرورية كالسوق ، والمدرسة والشفخانة ومنشآت الماء الصالح للشرب ..

التعليم الاولى

١) يبدأ من سن الخامسة .. ويكون الى سن السابعة بالتلقين ، وتوجيه النشاط الطبيعى عند الطفل بواسطة اللعب ، وباستعمال الدمى ، والصور ، وبتشجيع الاطفال ليبنوا ، من الطين ، اشكالا تعبيرية من الحيوان ، وخلافه .. ويجب الا يعلموا القراءة بالمرة فى هذه المرحلة حتى تتسع الصور ، والمعانى ، فى اذهانهم ، بوسائل التعبير المحسوس من الصور ، والاشكال ، ومن القصص ، والاحاجى الشيقة ، الرشيدة .

ذلك بان تعلم الكتابة بدون ان يشعر المتعلم بالحاجة اليها للتعبير عما فى نفسه يحجر الفكر ، ويحد الخيال ، ويكاد يجعل الكتابة كأنها غـايـــة فى نفسها •• يجب ان يقوم بالتدريس ، فى هذا الطور ، المعلمـــــات المثقفات ••

٢) يقوم هذا التعليم ، فى كل قرية ، من بنايات بسيطة ، ، مـــن القش ، والطين ، ينشئها المواطنون انفسهم بالتعاون (النفـــير) •• وتقدم ، فى هذه المرحلة للاطفال وجبة من الطعام الصحى ، المناســب ، وشىء من الحلوى ، والبلح ، واللبن •• (٣) بعد السابعة يبدأ تعليـــم القراءة والكتابة •• ويكون التعليم مختلطا ايضا •• وفى بنايات من نوع البنايات فى تعليم رياض الاطفال المذكورة أعلاه •• يبنيها المواطنون ، فى كل قرية (بالنفير) •• ويحافظون عليها ، ويصونونها ، كل حـــين •• ويقوم بالتعليم ، اذا امكن ، المعلمات ايضا •• ويستمر العمل اليـدوى بخلق الاشكال المعبرة من الطين ، الى سن العاشرة ، حيث يدخـل ، فى المدارس ، التعليم المهنى كبناء المنازل ، وأعداد الاثاثات •• ويبـــدأ ، بصورة أقرب الى اللعب ، بنماذج متناسقة ، من الطين ، ومن الخشب ، ومن الورق المقوى •• ويلاحظ ، فى اثناءهذه المراحل ، المواهب ، والميول الطبيعية ، عند كل طفل •• وسيكون هذا الطور طور تفتح ، وتنبـــه ، لاساليب من الحياة جديدة • تقوم هذه المرحلة فى منازل أجمل ، وباثاثات اجمل ، من منازل القرية واثاثاتها ، وتتخذ من المواد البسيطة ، الموجودة محليا •• هذا الطور هو طور تفتح الخيال ، فاذا ما وجه توجيهـــــا خلاقا استطاع ان يكون عمليا ، ومطورا للحياة لاحسن ، فأحســن •• ويتولى التعليم فى هذا الطور المعلمون ، والمعلمات •• ويكون تعليمـــا مختلطا •• لا يفترق فيه البنون عن البنـــات ، الا فى حصص التعليم المهنى ، لان للبنات تعليما مهنيا غير تعليم البنين ويجب التركيز علـــى التعليم المختلط ، لاننا نرمى لحياة طبيعية ، حيث لا يكون الرجل فى حيز

والمرأة فى حيز آخر ، كما هى الحال عندنا اليوم ٠٠

(٤) من العاشرة الى السادسة عشرة تكون مرحلة التعليم النهائية لجمهرة البنين والبنات من الذين لا يستطيعون مواصلة مراحل التعليم الرسمى فى المدارس ، وذلك لضيق الاماكن ، فى المراحل العليا ، كما هو محقق ان يكون ، فى بداية الامر ، بالنسبة لضيق مواردنا ٠٠ وفى هذا الطور بين العاشرة ، والسادسة عشرة يمكن ان ينفصل البنون فى مدارس خاصة بهم ، والبنات كذلك ٠٠ ويتولى التعليم المعلمون فى مدارس البنين ، والمعلمات فى مدارس البنات ٠٠ ويتسع التعليم المهنى ، ويشمل ، بالنسبة للبنات ، تدبير المنزل ، من غسيل ، ومكوة ، وتفصيل ملابس ، وتطريز ، وخياطة ، وطهو الطعام ، ومعرفة القيم الغذائية فى المأكولات المتوفرة محليا ، وصحة الاسرة ، والاطفال بشكل خاص ، والتمريض ، وطرف صالح من العادات الاجتماعية الحميدة ٠٠ وبالاختصار تتعلم كل ما يعدها لتكون زوجة صالحة ٠٠ ويتعلم الاولاد فى مدارسهم فى هذه المرحلة ، طرفا صالحا من المهن المختلفة التى تجعل منهم رجالا صالحين واسعى الحيل ـ يستطيعون ان يخلقوا من ظروفهم المحلية ظروفا لحياة أرقى مما وجدوا عليها آباءهم ، ويعدون ، بدورهم ، فى هذا الطور ، ليكونوا ازواجا صالحين ٠٠

٥) بعد نهاية التعليم الاولى ، فى سن السادسة عشرة يكون هناك تعليم جامعى ، شعبى ، فى الامسيات ، لمن يريد ٠٠ وتكون هناك اندية للصبيان ، وللصبايا ، تواصل ارشادهم وتثقيفهم وتهذيبهم ٠٠

التعليم فوق الأولى

(١) يتوخى فى هذا ان يكون متوفرا لاكبر عدد ممكن من الاولاد ، والبنات ٠٠ ولا يشترط فيه أن يكون جامعيا ، فى طور بلادنا الحاضر ، بل يكفى فيه أن يكون ثانويا ٠٠ أن يتوفر حتى يستطيع استيعاب كل من يستحقه ٠٠ وهو عبارة عن امتداد للتعليم الاولى ٠٠ واعتقد اننا

يجب أن نرجىء التعليم الجامعى لفترة مقبلة ، بعد أن تتسع امكانيات البلاد المادية •• وبعد أن تتسع القاعدة بالتعليم الاولى ، والثانوى •• وفى ذهنى الآن تعليم عام فوق التعليم الثانوى الحاضر ، ودون التعليم الذى يجرى الان بالمعهد الفنى ، على أن يعمم ، كما قلت ، حتى يشمل جميع المواطنين •• وفى هذه الاثناء نسد حاجة البلاد للخبرة الفنية العالية ببعث الطلبة النابهين جدا الى الجامعات الخارجية ، ليتعلموا الى نهاية كبيرة ، فنون الهندسة ، والطب ، والرياضة ، والزراعة ، وتربية الحيوان ، والنبات ، والزهور ، والموسيقى ، الى آخر ما هناك ، ليعودوا فيبسطوا كل اولئك بطريقة تجعل كثيرا منها يمكن تلقى طرف صالح منه حتى فى المراحل الاولية ، مما يعين المتخرجين على النهوض بحياة القرى والارياف ••

(٢) فى هذه المرحلة ، من مراحل التعليم ، تخصص الاعداد المطلوبة من المهن المختلفة ، حسب حاجة التعمير ، وحسب المواهب الطبيعية الموجودة لدى الطلاب ، على ان تجعل ، فى المصالح المختلفة ، وسائل للتدريب المهنى لاكساب الخريجين فيها المزيد من الخبرة العملية •• وعلى ان تكون هناك فرص للنابهين من المهنيين ليزوروا البلاد الخارجية فى بعثات علمية لتلقى المزيد مما برزوا فيه من فن ••

(٣) لهذه المرحلة يمكن اعداد الكتب المدرسية المترجمة من اللغات الاجنبية ، ويجب ان يكون جميع التدريس باللغة العربية ، ولا يشرع فى تعليم لغة اجنبية الا للمبرزين الذين سيبعثون الى الخارج لتلقى المزيد من التدريب العلمى ، والفنى ولهؤلاء يمكن أن يشرع فى تعليم اللغة الاجنبية ــ الانجليزية فى بداية التعليم فوق الاولى •• وهذا يعنى ان يكون

هناك اتجاه لاعداد هؤلاء فى فصول خاصة تبدأ بنهاية طـــور التعليم الاولى أما سائر الطلاب الذين يتلقون تعليما فوق الاولى فيجب أن تكون دراستهم باللغة العربية ٠٠ ولا يغيب عن بالى الصعوبة الكبيرة فى اعداد هذه الكتب المترجمة ٠٠ ولا يغيب عن بالى أيضا تدريب المدرســـين والمدرسات ، المطلوبين لمثل هذا البرنامج الكبير ٠٠ ولكن ، على الاقل ، البداية ممكنة ٠٠ ويجب التخطيط المرسوم ليجىء اليوم الذى يتم فيــه آعداد الكتب المترجمة والمؤلفة المطلوبة ٠٠ وكذلك تدريب المدرســين والمدرسات ، بالعدد الكافى للحاجة اليهم ٠٠

التعليم الجامعى

(١) ان التعليم الجامعى الحاضر باهظ التكاليف جدا ٠٠ وهـــو غير كبير الجدوى للبلاد ٠٠ بل ان الخريجين والجامعيين يكونون طبقة جديدة لا تأبه كثيرا بحالة البؤس التى يعانيها الشعب ، وهم ، علـــى التحقيق ، غيرقادرين على السكن فى القرى ، والارياف ، حتى يستطيعوا أن يتفهموا حالة مواطنيهم ، ويعينوا على تطوير حياة الريف ٠٠ ولـــو أوقف هذا التعليم الجامعى الحاضر ، واستعين بما ينفق عليه ، فى الوقت الحاضر ، لتوسيع قاعدة التعليم ، وتركيز مراحله ، على النحو الــذى أقترحت اعلاه ، لكان ذلك أفيد للبلاد ٠٠

٢) عندما يتركز التعليم ، ويرتفع مستوى المواطنين ، العقلـــى والصحى ، والاجتماعى ، والاقتصادى ، بفضل ما يبذله خريجو معاهدنا التى ذكرت تنظيمها آنفا ، يمكن ان نرتقى الى تعليم جامعى ينبت مـــن طبيعة أرضنا ، وتفكيرنا ، وشخصية قومنا ، ثم يتلقى ما يتلقى من أفكار غربية شرقية ، فيهضمها ، ويجعلهاسودانية أصيلة ٠ أى يستطيع ان ينظر الى العالم الشرقى ، والغربى ، من وجهة نظر سودانية ، وبذلك يكـــون تعليمنا اصيلا ، لا دخيلا ٠٠ ويكون خريجونا انسانيين ، سودانيـــين ،

اصلاء يسعون لاسعاد قومهم ، ولاسعاد البشرية عامة ، كعمل طبيعى ، فى غير تكلف ولا رياء ..

التعليم الخلقى

أولا يجب أن يفهم النشء بالاخلاق ، بدون أن نسميها أخلاقا .. يجب أن يكون تعليمنا اياهم بالقدوة ، لا بالكلام .. والدين ، من حيث هو ، من أكبر وسائل تعليم الخلق الجميل ، والدين الاسلامى ، بشكل خاص ، على الا يكون تعليمه مستقلا عن النشاط اليومى ، فى التعليم المهنى ، أو فى الالعاب أوخلافه ، وانما يكون متلبسا بكل أولئك . يجب ان يعلم الدين بسير الرجال الصالحين ، حتى ولو كانوا غير مسلمين ، فبابراز قيـــم السلوك الانسانى التى عاشها العظماء ، من مسلمين ، وغير المسلمـــين ترسخ فى أذهان الطلاب النماذج البشرية المجدة ..

ثم يجب ان تكون حياة المعلمين نموذجا حيا للخلـــق القويم .. ويجب الحذر ، كل الحذر ، من فصل التعليم الى ، تعليم دينى ، وتعليم مدنى ، ينتظر فيه من رجال الدين ، من استقامة الخلق ، ما لا ينتظـــر من رجال التعليم المدنى .. ان الاخلاق ، فى حقيقتها ، هى حســـن التصرف فى الحرية الفردية ، وهى بذلك حق على كل فرد .. ويجب علينا جميعا أن نعين بعضنا بعضا على تحصيلها وذلك لاهميتهـــا الفـــردية ، والجماعية .. ولما كان الدين عامة ، والاسلام خاصة ، اكبر اسلـــوب يعين على تحصيل الاخلاق ، بوصاياه ، وبقرآنه ، وبعبادته ، وبســـيرة نبيه ، واصحابه ، وجب علينا أن نولى الدين اهتماما خاصا ، لنحقـــق به التربية الخلقية .. على أنا يجب ان نميز بين القضايا الفقهية التـــى تلقن فى المعاهد الدينية الحاضرة ، وبين « روح الدين » فأن روح الدين البسيطة ، المنبعثة من القول البسيط « لا اله الا الله » ، هى شعار التربية لانها تدعو الى الحرية ، وترسم الطريق الى الخلق الذى يليق بالاحرار ،

وهو ما عنيناه بحسن التصرف فى الحرية الفردية ..

واما تعلم القضايا الفقهية ، على نحو ما يمارس فى المعاهد الآن ، فهو مهنة ، كسائر المهن ، ولا يحتاجه المجتمع الذى ندعو اليه .. نعم !! سنحتاج الى رجال قانون ، ولكنهم لن يكونوا بالصورة الحاضرة ، لاننا لن نعمل على قيام محاكم شرعية ، ومحاكم جزئية ، وانما سيكون التشريع موحدا ، وسيكون القضاء موحدا أيضا ..

سيكون التشريع مبنيا على القيم الانسانية الرفيعة ، وهى القيم التى نعلمها فى معاهدنا ، ومنازلنا ، ونطلبها من كل مواطن مهما كان دينه ، ومهما كانت مهنته ، بغير تمييز فى ذلك ..

يجب ان يشرف على التعليم جهاز واحد ، وهو وزارة المعارف .. ويجب أن يوحد التعليم ، فى برامجه ومناهجه ، حتى تنشأ عنه قومية موحدة الفكر ، والخلق ، والزى ، والعادة ..

ما أحب أن يفهم من وضعى للتعليم الخلقى تحت عنوان منفصل أنى اعنى أن يكون تعليم الاخلاق مستقلا عن تعليم المهنة ، فانى أعتقد ان التعليم المهنى الصحيح هو التعليم الذى يوحد بين المهارة الفنية ، والقيم الخلقية ، التى تبعث على العمل المهنى .. وهناك حديث مأثور عن النبى فى هذا المعنى وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله كتب الاحسان على كل شىء .. فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة .. وليحدد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » .. ففى كل عمل هناك اعتبار يتطق بالآخرين ، فيجب توخى العدل فيه ، وتوخى الرحمة .. فاذا ما توكد هذا المعنى ، فى كل مهنة ، أصبحت الأخلاق كالروح ، تتلبس جسد كل عمل ، وكل مهنة ، مهما دقت ، وصغرت .. قد تكون هذه الاقتراحات كثيرة على وزارة المعارف لانها تدخل فى اختصاصها أمرا ليس فى المألوف دخوله .. ولكنى لا

أقترح ، وأنا مقيد بالمألوف ، وانما أقترح وأنا متطلع للكمال الممكن ••
وهذه المقترحات فيها كمال ممكن •• والحق أن عمل المعارف هو أكبـــر
عمل يؤثر على الافراد تأثيرا بالغا •• فاذا اقترحنا توسيع اختصاصهـا
لتشمل جميع المرافق الاجتماعية ، والاقتصادية ، والصحية ، فليس ذلك
بالغريب •• فان هو لم يكن مألوفا فقد يجب السعى لجعله كذلك ، مـــا
دام مكفولا ، وممكنا •• ثم ان هذا تخطيط لم يعط الا الخطوط العريضة
جدا لمـــا فى ذهنى عن التعليم •• ولقد اضطررت الى الاكتفاء به لضيق
وقتى ، والا لذهبت فى الحديث عن القيم التعليمية فى نظام الحكومـــة
المحلية ، وفى ممارسة الديمقراطية ، وفى حركات الكشافة ، ومنظمـــات
الشباب ، والشابات ، فألحقها بصلب التعليم النظامى ، وطلبـــت
الى وزارة المعارف ان يكون لها فى الاشراف عليها جميعا اليد الطولى ••
أرجو الا أكون قد اضعت وقتك سدى ، وسلامى عليك ••

المخلص
محمود محمد طه



يا عيسى ابن مريم !!
أأنت قلت للناس ؟؟

الجبلين فى ١٩٦٢/٧/٢٣

حضرة الأخ الكريم الشيخ عبد الرحيم

تحية طيبة ، مباركة ، زاكية ..

أما بعد ، فقد ظللت دائم التفكير فى سؤالك الممتع من الآيات الكريمات :

« واذ قال الله يا عيسى ابن مريم : أأنت قلت للناس اتخذونى ، وامى ، الهين من دون الله ؟؟ قال : سبحانك !! ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق .. ان كنت قلته فقد علمته .. تعلم ما فى نفسى ، ولا أعلم ما فى نفسك .. انك أنت علام الغيوب .. ما قلت لهم الا ما أمرتنى به : أن أعبدوا الله ، ربى ، وربكم .. وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد ان تعذبهم ، فانهم عبادك .. وان تغفر لهم ، فانك أنت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم .. لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ، خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ، ورضوا عنه .. ذلك الفوز العظيم .. لله ملك السموات ، والارض ، وما فيهن ، وهو على كل شىء قدير » ..

فقد سألت أنت فى أحد مجالسنا الليلية بمدنى : « واذ قال الله : يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين .. الخ الآية .. سألت : متى قال الله ذلك ؟؟ وقد أجاب بعض الاخوان الحاضرين : انه يقول ذلك يوم القيامة ، وانما عبر عنه بالماضى لتحتم وقوعه ..

وهذا هو التفسير الذى يطالعك به المفسرون •• وقد علمت أنك لا تسأل عن هذا ، لانه غير كاف •• وقلت لك لا يحضرنـــى الآن فيها شىء ، وسأخبرك فيما بعد •• وقد ظللت مشغول الخاطر بهذا السؤال الطريف طوال هذه المدة الطويلة ••

واضح لكل من يعرف التوحيد أنه لا يمكن أن يقال ان الله سيقول يوم القيامة ، لان الله قائل فى الأزل ، وفى الأبد ، وفيما بين ذلك ، وفى كل لحظة : « كل يوم هو فى شأن » من غير أن يطرأ عليه الحدثان •• ولـــو أن الله ليس بقائل ، ابدا ، وسرمدا ، ثم قال يوم القيامة لقامت بـــه الحوادث •• وهذا خطأ فى أوليات التوحيد •• لم يبق الا أن الله قـــال ذلك ، وهو لم يزل قائلا ، تبارك ، وتعالى ، ولن ينفك •• ولقد قلنا ، نحن الجمهوريين ، فى كتيبنا «الاسلام» : « نحن نسمع الناس يقولون : ان القرآن كلام الله ، فما معنى هذا ؟؟ ان الله ليس كأحدنا ، وليس كلامه ككلامنا باصوات تنسل من الحناجر ، فتقرع الآذان •• ان كلام الله خلق فالشمس تطلع ، فترسل الضوء ، والحرارة ، فتبخر الحرارة الماء ، وتثير الرياح ، وتحرك الهواء ، فتحمل الرياح بخار الماء ، فى سحب كثيفـــة ، الى بلد بعيد ، فينزل المطر ، فيروى الارض ، ويحييها بعد موتها ، فينبت الزرع ، وتدب الحياة بمختلف صورها ، وشكولها •• هذه صورة موجزة قاصرة ، مفككة الحلقات ، لكلام الله •• فالقرآن هو صورة هذا الكلام ، أو قل هذا العلم ، مفرغا فى قوالب التعبير العربية » ••

ولقد قلنا ، فى مواضع أخرى من هذا الكتاب ، : أن القرآن يسوق معانيه مثانى •• معنى قريبا ، ومعنى بعيدا •• فمن فهم المعنى القريب ، وغاب عنه المعنى البعيد ، فما فهم القرآن •• ومن فهم المعنى البعيـــد ، وغاب عنه المعنى القريب ، فما فهم القرآن ، وانما يفهم القرآن مـــن يرى المعنيين فى اللحظة الواحدة •• وهذا يحتاج الى قوة فى نور البصيرة يفلق الشعرة •• والسبب فى سوق المعنيين ، المعنى القريب ، والمعنـــى

البعيد ، أن اسم الله ، تبارك ، وتعالى ، يطلق على معنيين أيضا : معنى بعيد ، وهو ذات الله الصرفة - فى صرافتها - وهى أمر فوق الادراك ، وفوق الاسماء ، وفوق الاشارات ، ولو لا أنها تنزلت ما عرفت .. ومعنى قريب وهو مرتبة البشر الكامل الذى أقامه الله خليفة عنه فى جميع العوالم ، واسبغ عليه صفاته ، واسماءه ، - حتى اسم الجلالة - فكلمة الله حيث قيلت ، تشير الى هذين المعنيين ، وفى نفس الوقت .. هى تشير الى « صرافة الذات » وتشير الى « التعين الاول » الذى ليس بينه وبين صرافة الذات أحد من الخلق ، وانما هو بين جميع الخلق وبين الذات .. وانماتقوم جميع الاسماء ، والصفات ، بالتعين الاول أولا ، ثم هى تشير ، اشارة مبهمة ، قاصرة ، الى الذات الصرفة التى هى فوق أن تسمى ، أو توصف ، أو تعرف ..

فمعنى : « واذ قال الله يا عيسى ابن مريم !! أأنت قلت للناس : اتخذونى ، وامى ، الهين ، من دون الله ؟؟ » ان الله خلق فى عيسى القوى التى تدعى الربوبية ، والتى هى مودعة فى كل فرد من أفراد البشر ، وهى التى بها تمت لهم خلافة الله فى الارض .. وهى هى المعبر عنها بالامانة فى قوله تعالى : « انا عرضنا الامانة على السموات ، والارض ، والجبال فابين أن يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها الانسان .. انه كان ظلوما جهولا .. » .. ولقد عبر بالاستفهام : « أأنت قلت ؟؟ » ولم يقل بالجزم : « أنت قلت » اشارة الى أنه تعالى قد خلق فيه « القوى العقلية » التى تحد من اندفاع ارادة النفس ادعاء الربوبية ، وتردها الى ما ينبغى لها من العبودية .. فان فرعون ، حين لم يخلق الله له قوى كافية تستطيع رد ارادة ادعاء الربوبية ، ادعاها ولم يتردد فى ذلك .. فأخبر الله تعالى عنه ، فقال ، جل من قائل ، مخاطبا نبيه ، ورسوله ، موسى : « أذهب الى فرعون انه طغى » .. أى فات حد العبودية الى

أدعاء الربوبية •• وهو أمر كان من الممكن أن يحصـل مـن المسيح لو لا أن الله نصره ؛ واجتباه •• ثم قال ، تبارك ، وتعالى ، عن فرعون ، فى نفس السياق : « فكذب وعصى ــ ثم ادبر يسعى * فحشر ، فنادى * فقال : أنا ربكم الاعلى * فأخذه الله نكال الآخرة والاولى * ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى » ••

ولقد قال احد السادة الصوفية •• فى نفس كل منا أن يقول مـا قال فرعون : « أنا ربكم الاعلى » ، غير أن فرعون استفز قومه ، فاطاعوه فقالها •• يعنى أن اجتماع الناس عليه ، وطاعتهم اياه ، غرته عن نفسه وقوت فيه ارادة أدعاء الربوبية ، حتى ضعفت القوى العقليـة عـن مقاومتها ، فانطلقت تدعى ، وتفترى •• وانما من أجل ذلك يحذر مشايخة الصوفية المريدين ، وبخاصة صغار المريدين ، من اجتماع الناس عليهم • وشىء آخر !! فان الاستفهام فى : « أأنت قلت » بدلا من الجزم : «أنت قلت » ، حين أفاد أن الله قد خلق فى المسيح قوة العقل الكافية لصد ارادة ادعاء الربوبية ، أفاد أيضا أن المسيح قد قال ، بلسان حاله ، ولكنه لـم يقل بلسان مقاله ، وحاشاه أن يقول !! ولقد عفا الله عما يجول فى الصدر ما لم يجر على اللسان ، فكيف بما أدق من ذلك ••

ثم قال : « اتخذونى ، وأمى : الهين ، من دون الله » ، ولم يقل : « اتخذونى الها ، من دون الله » ، كما قال فرعـون ، مثلا ، بوحدانيته ، وحده •• وذلك يفيد أن الله قدجعل فيه الثنائية بارزة ، قوية فهو ، بالطبع ، لم يكن فى وحدانية الغفلة التى كان عليها فرعون •• وهو بالطبع ، لم يبلغ وحدانية الحضرة ، والكمال ، التى يكون عليهـا الله ــ « بالمعنى القريب » •• « قال سبحانك !! ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق •• ان كنت قلته ، فقد علمته •• » •• اشارة صريحة الى خلـق الله ، تبارك ، وتعالى ، فى المسيح القوى العرفانية التى بها يعرف مـا هو حق « لله » ، وهو « الربوبية » ، وما هو حق له وهو (العبودية »

وبفضل هذه القوى العرفانية انتصر على ارادة ادعاء الربوبية ، كمـــا سبق القول •• ثم قال : « تعلم ما فى نفسى ، ولا أعلم ما فى نفسك •• أنك أنت علام الغيوب » •• ولم يقل : « تعلم ما فى نفسى ، ولا أعلـم ما فى نفسى » ، وهو ما قد يتبادر الى ذهن الانسان عن المنكر التائب ، المتنازل ، عن أى أدعاء •• ولكنه قال بالصيغة أعلاه للدلالة على أن النفس واحدة ، وهى نفسه تعالى : « يا أيها الناس !! أتقوا ربكم ، الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ، ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به ، والارحام •• ان الله كان عليكـــم رقيبا » •• فالمعنى القريب هو : أن هذه النفس الواحدة هى نفس آدم • والمعنى البعيد هو : ان هذه النفس الواحدة هى نفس الله تعـــالى : « ويحذركم الله نفسه •• والى الله المصير » •• وهكذا الى آخر الآيات الكريمات ، مما لا يتسع لتفصيله زمنى الحاضر •• ولكن ، قبل أن اترك هذا السياق ، أحب ان ألفت نظرك الى الآية : « ان تعذبهم ، فانهـــم عبادك •• وان تغفر لهم ، فانك انت العزيز الحكيم •• » •• فانه جاء فى الفاصلة بصفتى « العزيز الحكيم » ليثبـــــت « الجبر » ، ولينفـــى «الاختيار» ، عن المسيح ، وعن الناس •• المراد فى السياق : فانهم عباد مربوبون •• ولم يقل ، كما قد يتبادر الى ذهن السامع : « وان تغفـــر لهم فانك أنت الغفور الرحيم » •• المراد فى السياق : فان اتخذوا المسيح وأمه ، الهين ، من دون الله ، فانما ذلك لحكمة قاهرة ارادها اللـــه بهم ، ولم يجدوا عنها « مندوحة » •

وقد ختم لك الآيات بما لا يدع مجالا للشك فى هذا المعنى المراد ••

اسمع قوله ، تبارك ، وتعالى : « لله ملك السموات ، والارض ، وما فيهن •• وهو على كل شىء قدير •• » •• هذا الذى شرحنا هو القول الازلى « لله » ، « بالمعنى البعيد » •• وستقول : فهل يقال هذا القول قولا مستأنفا يوم القيامة ؟؟ والجواب : نعم !! سيقال ، فى عرض الحساب

ولكن يقوله « الله » ، « بالمعنى القريب » •• يقوله (الله) الذى هـو الانسان الكامل •• الانسان الذى ليس بينه وبين ذات الله المطلقة أحد وهو بين الذات وبين سائر الخلق •• وهو الذى يتولى حسابهم ، نيابـة عن الله ، وهذا الانسان الكامل المسمى : « الله» هو المعنـى ، فى المكان الاول ، بقوله تعالى : « هل ينظرون الا أن يأتيهم « الله » ، فى ظلل من الغمام ، والملائكة ، وقضى الامر ، والى الله ترجع الامور ؟؟» وهـذا القول المستأنف يـوم القيـامـة هـو ايضـا قديم ، ولكنه متطور فى كل لحظة ••

كل ذرة من ذرات الوجود ، المنظور لنا ، وغير المنظور ، غازاته ، وسوائله ، وجماداته ، ونباتاته ، وحيواناته ، وحشراته ، وانسه ، وجنه وملائكته ، وانواره ، وظلماته ، كل ذرة من ذرات هذه الاجساد ، كلمـة من كلمات الله •• وكل حركة تتحركها هذه الذرات كلمة من كلمات الله •• والله متكلم بكل هذه الالسن •• « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربـى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ، ولو جئنا بمثله مددا » •

ما أحب أن أطيل أكثر من هذا ، ولو أن مجال القول ذو سعـة واسعة •• ولكنى انما أختلس هذه السويعات من زمن العمل اختلاسا ، وقد أصبح العمل فى أخرياته ، ولابد من بذل مجهود كبير لينتهـى •• وسيكون لدينا فراغ طويل نصرفه عندكم ، ان شاء الله •• وسيكـون المجال ، يومئذ ، مجال تطويل ، واستقصاء •• فان وجدت ان أمرا مـن أمور هذا الكتاب تستحق استقصاء فستجدنى عندما تحب ، ان شاء الله هذا وعليك ، وعلى الاخوان جميعا ، التحيات ، المباركات ، الناميـات ، الزاكيات ••

محمود محمد طه



بين المؤمن والمسلم

خطاب الى الاستاذ الجليل الشيخ

محمد الشيخ احمد الصابونابى

كوستي فى ١٩٦٦/٨/٨

ص٠ب ٧١

حضرة الاستاذ الجليل الشيخ محمد الشيخ احمد الصابونابى

تحية طيبة مباركة من عند الله

وبعد فقد وصلنى جوابك الكريم ، محولا الى من الخرطوم ، فحمدت الله تبارك وتعالى ، لك ، وشكرتك على مبادرتك الكتابة الى فيما عن لك عن الكتابين اللذين وصلاك ، مع جوابى فى هذا الامر : « رسالة الصلاة » و « طريق محمد »

وقد جاء فى قولك عنهما : « انها تحتوى على نصائح ثمينة سررنا لها ، غير أمر واحد ، انك كلما وضعت أسم محمد فيها لم تصل عليه خطا ٠٠ ونحن ، فى جل الكتب فقها ، وحديثا ، كلما خط أسم محمد فيها يصلى عليه ٠٠ لذا نرجو الافادة عن حذف الصلاة من أسمه فى هذين الكتابين ، خاصة ، لكى نكون على شريعة من الامر ، والله المهدى الى الصواب » ٠٠

وقد سرنى هذا السؤال كثيرا لانه يثور فى خواطر الناس دائما ، كلما ، اطلعوا على « طريق محمد » فجزاك الله عن اثارته خيرا ٠٠

وفى مستهل الرد أحب أن أردك الى أعادة قراءة ثلاثة مواضع من « رسالة الصلاة » ٠٠ الموضع الاول البشارة ، وبخاصة حيث يقول : « الاسلام عايد عما قريب ، بعون الله ، وبتوفيقه ٠٠ هو عايد

لأن القــــرآن لا يزال بكرا ، لم يفض الأوائل مــن اختامه غــير ختم الغلاف .. الخ » .. ثم أرجو أن تواصل قراءة البشارة كلها .. والموضع الثانى فى صفحة ٢٤ حيث يقول : « وثالثها ان المجتمع المسلم حقــا لم يدخل فى الوجود بعد ، وسيجىء فى مستقبل الأيام القريبة ، ان شاء الله حيث تقوم المدنية الجديدة التى تحدثنا عنها هنــا ، وفيها يبلغ ســائر الافراد مرتبة الاسلام ، وهى مرتبة لم تتحقق فى المجتمعات الماضيات الا للأنبياء ، وحتى هؤلاء قصر عنها بعضهم ، كما يحدثنا القــرآن : « انا أنزلنا التوراة ، فيها هدى ونور ، يحكــم بها النبيون الــذين اسلموا ، للذين هادوا ، والربانيون ، والأحبار ، بما استحفظوا مــن كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء » ..

ولسنا نريد الاطالة هنا ، لأن الحزب الجمهورى سيصدر سفرا مستقلا فى هذا المعنى .. وسيكون عنوانه : « العهد الذهبى للاســلام أمامنا » ..

ولكن نحب أن نقول أننا سنفهم القرآن فهما ، أحسن من ذى قبــل ، اذا عرفنا أنه ، عندما يخاطب المؤمنين ، انما يخاطب مرحلة معينة من مراحل سير الأمة الحاضرة نحو الأمة الاسلامية المستقبلة .. وهــو حين يقول « يا أيها الذين آمنوا ! ! اتقوا الله ، حــق تقاته ، ولا تموتن الا وأنتم مسلمون» ، انما يطلب أن يرتقى أفراد المجتمع المؤمن ، من مرحلة الايمان الى مرحلة الاسلام .. وهو بذلك يدعو الى التطــور المستمر فى مراقى الكمال ، والتجدد ، ولا يقر الناس على الثبات فى مرتبة واحدة .. وأما الموضع الثالث فهو فى صفحة « ٤٦ » حيث يقــول : « ان الاسلام ، فى حقيقته ، ليس دينا بالمعنى المألوف فى الأديان ، وانما مرحلة العقيدة فيه مرحلة انتقال الى المرحلة العلمية منه .. مرحلة الشــريعة فيه مرحلة انتقال الى مرتبة الحقيقة .. حيث يرتفع الأفراد من الشريعة الجماعية

الى الشرائع الفردية التى هى طرف من حقيقة كل صـــاحب حقيقه ..
وتكـــون الشـــريعة الجماعية محفوظة ، ومرعية ، لمصــلحة السلوك ،
والتربية ، والتنظيم ، للقاعدة البشرية ، التى تستجد كل يوم ، وتجاهد ،
بالتجارب كل حين ، لترقى المراقى » .. ثم أرجو أن تواصل القراءة فى
هذا الباب ..

ثم انى أحب أن أردك فى « طريق محمد » الى اعادة قراءة هـذه
الفقرة التى وردت فى صفحة ٢٤ : « ثم أما بعد ، فان هذه دعـــوة الى
الله .. داعيها محمد .. وهاديها محمد .. وهى دعوة وجبت الاستجابة
لها أمس ، وتجب الاستجابة لها اليوم ، كما وجبت أمس ، وبقدر أكبر ،
اذ الحجة بها اليوم الزم منها بالأمس .. » ..

هل هذه دعوة جديدة ؟؟ نعم !! انها دعوة جديدة .. وهى قديمة
فى نفس الأمر .. هى قديمة لأن النبى بلغهـــا مجملة ، فى معنى ما بلـــغ
القرآن وسار السيرة .. وهى جديدة ، لأن تفصيلها لم يسبق به عهد ..

ان العهد المقبل ، والذى تبشر به هذه الدعوة ، القديمة الجديدة ،
فى آن معا ، انما هو عهد الأخوان ، بالمقابلة الى عهد الأصحاب .. فقــد
روى أن النبى قال يوما : «واشوقاه لاخوانى الذين لما يأتوا بعد !! فقال
أبو بكر : أولسنا اخوانك يا رسول الله ؟؟ قال : بل أنتم أصـحابى !!
ثم قال : واشوقاه لاخوانى الذين لما يأتوا بعد !! فقال ابوبكر : أولسنا
اخوانك يا رسول الله ؟؟ فقال : بل أنتم أصحابى !! ثم قال : واشوقاه
لاخوانى الذين لما يأتوا بعد !! فقال أبو بكر : مـــن اخوانك يا رسول
الله ؟؟ فقال : قوم يأتون فى آخر الزمان ، للعامل ، منهم ، أجـــر سبعين ،
منكم .. قـــالوا : منا أم منهم ؟؟ قـــال بل منكم !! قالوا : لـمـاذا ؟؟ قال
لأنكم تجدون على الخير أعوانا ، ولا يجدون علـــــى الخير أعوانا » ..
وسر هذا الحديث مطوى فى التفريق بين «الأخوان» و «الأصحاب» ..

وهو فرق ما بين « المؤمن » و « المسلم » ..

ثم ان الله ، تبارك ، وتعالى ، يقول : « ان الله ، وملائكته ، يصلون على النبى .. يا أيها الذين آمنوا !! صلوا عليه ، وسلموا تسليما .. » .. ومن ههنا جاء الأدب الواجب فى الدين أن يقترن اسم النبى بالصلاة عليه كلماذكر .. ولكن ما معنى الصلاة ؟؟ فالله سبحانه وتعالى يصلى على النبى .. والملائكة يصلون .. ولقد روى أن بشير بن سعد قال : يا رسول الله !! أمرنا الله أن نصلى عليك ، فكيف نصلى عليك ؟؟ فسكت ، ثم قال : قولوا : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم .. وبارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم ، فى العالمين .. انك حميد مجيد .. والسلام علمتم » .. هذا ما كان من أمر صلاة المؤمنين .. فكيف تصلى الملائكة ؟؟ وكيف يصلى الله ، تبارك وتعالى ، على النبى ، ؟؟

فى بعض أحاديث المعراج ورد حديث طويل : أن النبى قال : (ثم قلت اللهم لما لحقنى استيحاش ، قبل قدومى عليك ، سمعت مناديا ينادى ، كصوت أبى بكر ، فقال لى : قف ان ربك يصلى !! فعجبت من هاتين !! هل سبقنى أبوبكر الى هذا المقام ؟؟ وان ربى لغنى أن يصلى لأحد ؟؟ فقال تعالى : أنا الغنى أن أصلى لأحد .. وانى أقول : سبحانى ، سبقت رحمتى غضبى .. اقرأ يا محمد « هو الذى يصلى عليكم وملائكته ، ليخرجكم من الظلمات ، الى النور ، وكان بالمؤمنين رحيما » .. فصلاتى رحمة لك ، يا محمد !! ولأمتك .. وأما أمر صاحبك ... الى آخر الحديث ..) ..

فصلاة الله رحمة ، برفع الحجب .. وصلاة الملائكة ، استغفار ، بالتفدية .. وصلاة المؤمنين عبارة ، بالتوقير .. والمؤمن منتفع بالصلاة .. والنبى منتفع بها . لأن أجر النبى يزيد بزيادة المهتدين من

أمته ، كما وكيفا .. والمؤمن يزيد هدى كلما وقر فى صـدره حب النبى ، وتوقير النبى ، وذلك ما تفعله الصلاة عليه ، كلما ذكر اسمه .. فاذا قال قائل فى مجلسك : محمد ، أو قال : النبى ، فقد وجب أن تقول : « صلى الله عليه وسلم » .. أو أن تقول : « اللهم صل ، وسلم ، علـى حبيبك ، وصفيك » الى آخر هذه العبارات ، الطيبات ، التى تقرب النبى الى قلبك وترقق قلبك ، وتحفظه من آفة الغلظة ، وآفة الجفاء .. وصلاة المـؤمن على النبى هذه هى أدنى مراتب الصلاة عليه .. وهى توقير ، وتقديس ، عن جهل .. والتقديس بديل عن المعـرفة ، ما دونه بديل .. ويجب أن يكون مقدمة للمعرفة ، ومرحلة انتقـــال اليها ، وألا يظل لازمة ثابتة لا تتطور .. وانما تطوره بأن يصير توقيرا عن علم .. هذه صلاة المـؤمن على النبى .. فاذا ارتفع المؤمن ، فأصبح مسلما ، ارتفعت صلاته علـى النبى ، فاصبحت معرفة بالمقام .. وأصبح لها حظ يتفاوت من صلاة الله على النبى .. وهى أعلى الصلاة عليه .. وهى ليست لفظية ..

ان معرفة الحقيقة المحمدية هى ، فى حد ذاتها ، صلاة علـى النبى أعظم ، بمراحل ، من الصلاة اللفظية . وقد يقول قائل : وما الذى يمنع من الجمع بين الصلاتين ـ صلاة المعرفة بالحقيقة المحمدية ، وصـلاة اللفظ ؟؟ ألا يكون ذلك أكمـل ، وأتم ؟؟ والجواب عنـدى أن ذلك متروك للفرد العارف .. هو ومشهده ، فى ذلك . لأنه يتعلق بشريعته الفردية ..

وفيما يتعلق بهذه الدعوة التى نحن بصددها ، فانما هى دعـــوة جديدة ، من همها أن تخرج الناس عما ألفوا مــن عبادة العادة ، حيث تتقلب ألسنتهم بذكر الله ، وبالصلاة على النبى ، مــن غير أن يرتقوا المراقى فى معرفة الله ، ولا فى معرفة النبى .. ودعوتنا تبدأ مـن حيث انتهت الدعوة الأولى .. فهى تبـــدأ بالتوقير ، والتقديس ، والصلاة اللفظية على النبى ، وتسير مفتوحة العينين ، الى منازل المعرفة بالحقيقة

المحمدية ، حيث يكون التوقير ، و التقديس ، أتم ، وأكمل ٠٠ وأنت ، الآن ، مدعو للرجوع الى الكتابين لتقرأهما ، مرة أخرى ، فان وجدت أن أحدا من السلف ، عرف لمحمد ما عرف كتاب : « طريق محمد » لمحمد من الحق ، فدلنا عليه ٠٠ حسبك آن هذا الكتاب ـ كتاب «طريق محمد» انفرد ، عبر الأجيال الطويلة ، بالدعوة الواضحة الى العودة الى محمد ، وجعله الوسيلة الوحيدة الى الله ، بعد أن لج بالناس التماس الوسائل فى غيره ٠٠ والا فدلنا على كتاب غيره يكون له ، فى ذلك ، ضريبا ٠٠ نعم ، هناك كثير من السلف ممن صلى على النبى ، وممن وضع صيغًا فى الصلاة عليه ، بلغت مبلغ الروعة ٠٠ ومنهم من مدح النبى ، وألف ، من المدائح ، ما أن عبارته لتخلب الألباب ٠٠ ولكن ، كل هذه العبارات اللفظية مع جلالة قدرها ، تتضاءل بازاء هذه الدعوة العملية ، العلمية ، التى يحويها كتيب « طريق محمد » ٠٠ ذلك بأن محمدا قد جاء داعيا الى الله ، وهو لا ينقصه أن يمدح ، بعد أن مدح فى محكم التبيان ، ولكن ينقصه أن تحيى سنته ، بعد أن اندثرت ٠٠ وذلك ما يفعله كتاب « طريق محمد » ٠٠ وهو ما يفعله ، وبقدر أكبر ، كتاب : « رسالة الصلاة » ٠٠

«بدأ الدين غريبا ، وسيعود غريبا ، كما بدأ ٠٠ فطوبى للغرباء !! قالوا : من الغرباء يا رسول الله ؟؟ قال : الذين يحيون سنتى بعد اندثارها » ٠٠

أنت مرجو ، أيها الأخ الكريم ، أن تنظر فى الكتابين ، وبخاصة : « رسالة الصلاة » من هذه الزاوية الجديدة ، لترى بنفسك مبلغ ما تبلغ هذه الدعوة ، الى احياء سنة محمد ، بعد اندثارها ، من القوة ، ومن الصدق ٠٠ وقد أجد فى نفسى الرغبة لأقول لك ان أحدا لم يقم سنة محمد ولم يدع لاقامتها ، بالقدر الذى دعا اليه كتيب : « رسالة الصلاة » ٠٠ أن السنة نفسها غير معروفة عند علماء الاسلام ٠٠ عندهم أن

سنته هي : عمله ، وقوله ، واقراره ، بمعنى أنه اذا رأى بعض الأصحاب عمل شيئا فلم ينكره عليه فهو لاحق بالسنة •• وعندنا أن السنة هى حال النبي فقط •• وبعض أقواله داخل فى السنة ، حيث يكون دالا علـــى الحال •• وجل أعماله داخل فيها ، وهو عليها دليل ، وعن الحال ينم •• حاصل الأمر أن السنة هى حال النبى •• وآية هذا الحـديث النبوى : « حالي حقيقة ، وعملي طريقة ، وقولي شريعة » انظر صفحة ٣٦ مـــن « رسالة الصلاة » أرجو الله ، سبحانه ، وتعالى ، أن يتولى الجميع ••

المخلص

محمود محمد طـه

كتب هذا الجزء ضمن الرد ثم حذف •

قال ابن عباس : « عجبت لمن ينتظر عودة عيسى ، ولا ينتظر عودة محمد » فهذه الدعوة ، داعيها محمد ، عايدا من جديد ، بتشريع جديد ، يدعو المؤمنين ليكـونوا مسلمين •• « واذ قال عيسى بن مـريم : يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدى من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد •• فلما جاءهم بالبينات ، قالوا : هذا سحر مبين * ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ، وهـو يدعى الى الاسلام ؟؟ والله لا يهدى القوم الظالمين •• » ••

ولقد جاء محمد ، بنبوة أحمدية ، ورسالة محمدية ، فكان أحمـــد المشار اليه ، من وجه ، ولم يكنه ، مـــن وجه •• فـدعا الى الايمان ، فاستجابت له الأمة المؤمنة •• وسيجيء محمد بنبوة أحمـدية ، ورسالة أحمدية ، فيدعو الى الاسلام •• وستستجيب له الأمة المسلمة •• ويومئذ يستعلن وعيد الله : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه •• وهو فى الآخرة من الخاسرين » •• ويتحقق وعد الله : « اليوم اكملت لكــم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » •• « وعــد الله •• لا يخلف الله وعده •• ولكــن أكثر الناس لا يعلمون ❋ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ، وهم ، عن الآخرة ، هم غافلون » ••

« انتهى »

الله نور السموات والارض

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

« الله نور السموات والأرض •• مثل نوره كمشكاة ، فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى ، يوقد من شـــجرة مباركة ، زيتونة ، لاشرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ، ولو لم تمسسه نار •• نور على نور •• يهدى الله لنوره مـــن يشاء •• ويضرب الله الأمثال للناس •• والله بكل شىء عليم »

عزيزى جمعة : تحية طيبة ، وبعد فقد سألت عن هـــذه الآية فى مدنى ، وقد وعدتك بالكتابة اليك فيها ••

« الله نور السموات والأرض » •• موجدهما •• وليس وجـــود السموات والأرض غير وجود الله •• فيعـــود المعنى ليكون « الله نور السموات والأرض » الله حقيقة السموات والأرض ، وهما مظهره ، بهما ظهر لعـــارفيه •• ولذلك قال ، فى آخـــر الآية « ويضرب الله الأمثال للناس » ، ومعنى ذلك انه يظهر بما هو مثله لمن هو مثله و « ليس كمثله شىء » •• فوقع التشبيه ، والتنزيه •• ثم قال « والله بكل شىء عليم » ، معناها الله بكل شىء ظاهر ، وشاهد ، ومشهود ، ومعلم من يعلم عنه ••

والسموات والأرض « حق » ، وكل ما خلـــق الله فيهما « حق » ، والله « حقيقة » كـــل « حق » •• ولا يدخـــل « الباطل » فى الوجود الا بنظرة الانسان الى الوجود •• يقول تعـــالى : « وما خلقنـــا السماء ، والارض ، وما بينهما باطلا •• ذلك ظن الذين كفـــروا •• فويل للـــذين كفروا من النار »

والله ، فى صرافة ذاته ، فوق الأسماء ، وفوق العبارة ، وليس الى معرفته من سبيل •• والى ذلك الاشارة بالحديث القدسى : « كنت كنزا مخفيا ، فأحببت أن أعـرف ، فخلقت الخلـــق ، فتعرفت اليهم ، فبى عرفونى » ••

ومعنى تعرفت اليهم ظهرت لهم بهم ، وبكـل شىء •• وهو المعنى بقوله تعالى : « الله نور السموات والأرض » ••

والله ، من صرافة ذاته ، تنزل لخلقه ليعـــرفوه فى ثلاثة منازل ، أو قل ثلاث مراتب : مرتبة الاسم ، ومرتبة الصفات ، ومرتبة الافعال •• وبالافعال برزت السموات والأرض ، ومن فيهن ، الى حيز المحسوس — فمرتبة الاسم مرتبة الانسان الكامل •• ومرتبة الصـفة مرتبة الانسانة الكاملة ، ومرتبة الفعل مرتبة الوجود الخارجى المحسوس •• فالوجود المحسوس صورة خارجية ، لصورة داخلية ، فى النفس البشرية •• وهذه الصور الداخلية هى ، فى المرأة ، كمـا هى ، فى الرجـل •• ولكنها ، فى المرأة ، موجودة على صورة أكثر سذاجة منها ، فى الرجل ، وبذلـك فهى أقرب الى « الصرافة » التى تنزلت منها « الذات » الى مرتبة « الاسم » — مرتبة الانسان الكامل — ومن ههنا جاء تغنى الصوفية بسلمى ، وليلى ، ولبنى ، وهم بذلك انما يريدون الى الكناية عن الذات الالهية ••

ومع الصورة الداخلية للسموات والأرض ، فى الرجل وفى المرأة ، هناك أيضا صورة خارجية فيهما ، فسماء الانسان عقله ، وارضه قلبه — عقله المحسوس فى دماغه ، وقلبه النابض بين أضلاعه •• كما أن أرضـه أيضا جسمه ، و « الله نور السموات والأرض » ، موجد عقلى ، وعقلك ، وقلبى ، وقلبـك ، ومنورهما ، ومظهـرهما ، كما هو موجد السـموات والأرض ، ومنورهما ، ومظهـرهما •• والتفسير الخـارجى المحسوس موجود فى كتب التفسير كلها ••

« مثل نوره كمشكاة ، فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى » المشكاة موضع المصباح ، من القنديل ، ومن المنزل •• وهى هنا جسم الانسان الكامل •• والمصباح القلب ، والزجاجة العقل : « كأنها كوكب درى » ، اشارة الى صفاء عقله •• شبهه بالكوكب المضىء ، مع أنها زجاجة مجردة (بلا نور) وذلك لشدة ما هى عليه من الوضاءة ، والنظافة ، والاشراقة ، حتى ليخيل اليك ان بها ضوء من ذاتها ••

« يوقد من شجرة مباركة زيتونة » •• رجع الى المصباح الذى هو قلب العارف الكامل ، فقال : ان الزيت الذى يحرقه هذا المصباح ليضىء به ، انما هو زيت شجرة زيتونة •• ووصفها بقوله « مباركة » لتعرف أن زيتها ، القليل منه ، يمكث كثيرا فى الاحتراق لأنه ممدود ببركة •• ثم لتعرف أن النور الذى ينبعث من نار الاحتراق ، الذى يحدث من هذا الزيت ، انما يتضاعف أضعافا لاحد لها ، فى القوة ، ولا فى بعد الانبعاث ، فى الآفاق البعيدة ، لأنه ممدود ببركة ، ونماء •• ثم لتعرف أن نارها هى نار موسى ، وذلك بقرينة الاشارة الى قوله تعالى ، عن موسى « فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن ، فى البقعة « المباركة » ، من « الشجرة » : ان يا موسى ! ! انى انا الله رب العالمين » •• ونار موسى نار التجلى « الاكبر » ــ تجلى « الاسم المفرد » : « انى أنا الله » •• هذلك ما جعل الصوفية يهيمون بنار موسى •• وأنت بأقوالهم ، فى ذلك ، عليم •• ثم لتعرف ان نارها مباركة •• و «النار المباركة» هى التى تكون بردا ، وسلاما ــ لا هى برد ، ولا هى حر ، وانما هى نور ، بلا نار ، كنار ابراهيم •• فلذلك فهى «لا شرقية ولا غربية» •• فلا تتمكن منها حرارة الشروق ، ولا يغمرها ظلام الغروب •• وهذه « الشجرة » انما هى جسم الانسان الكامل الذى عبر عنه بالمشكاة آنفا •• وجسم

الانسان الكامل لاشرقى ، ولاغربى ـ لا هو ملائكى ، ولا هو حيوانى ، وانما هو انسان سوى الخلق ، مهيأ لنفخ الروح الالهى ، حيث قال : « فاذا سويته ، ونفخت فيه من روحى » ..

« يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار » ، لشدة صفائه .. فلكأنه صفحة المرآة ، تعكس الأضواء من كل جانب ، حتى انها لتكاد تضىء بغير نار .. وكذلك جسد الانسان الكامل ، هو مضىء بنور المعرفة ، ولو لم تمسسه نار المجاهدة .. فهو مستجيب للترقى لأنه « زيتونة مباركة » .. « نور على نور » ، نور « القلب السليم » على نور « العقل الصافى » ، يستعلن النوران من مشكاة الجسم الصحيح الذى يكسوه الوقار ، والجمال ، فى الحركة والسكون ، ويتضوع منه شميم أطايب الاعراق ، ومكارم الاخلاق ، وحلاوة الشمائل .. « يهدى الله لنوره من يشاء » .. يرشد الله الى « نفسه » من يشاء الله ارشاده من عباده .. وهى أيضا تعنى يرشد الله الى « نفسه » من يشاء هذا الارشاد من العباد ، على أن تكون مشيئة هذا العبد للهداية بمرتبة دعوة المضطر .. ذلك بأن الله يستجيب لدعوة المضطر اذا دعاه ، حتى وان كان كافرا .. ولا تكون مشيئة العبد للهداية بهذه المرتبة ، أو بأى مرتبة ، الا بسبق مشيئة الله له بها : « وما تشاءون الا أن يشاء الله ، رب العالمين » .. فرجع حاصل الأمر الى صاحب الأمر .. ولكن قبل انكشاف هذا الامر ذوقا ، ويقينا ، وهو لا ينكشف الا للعارفين ، فان المريد ، الطالب ، مكلف بتجويد المشيئة ، وبحسن توجه القصد الى الله ، حتى يهديه لنوره .. « ويضرب الله الأمثال للناس .. والله بكل شىء عليم .. » وردت الاشارة اليه فى صدر هذا الكتاب ..

بقى هناك أمر !! وهو ان الآية لا تنتهى ، حيث تعود كثير من الناس انهاءها ، فى كلمة : « عليم » ، من عبارة : « والله بكل شىء

عليم »، وانما تستمر الى قوله تعالى : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ، ويذكر فيها اسمه » •• ولو أن القرآء يقفون هاهنا ، ثم يستأنفون القرآءة بقوله تعالى : « يسبح له فيها ، بالغدو ، والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ، ولا بيع ، عن ذكر الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار » ، لكان أكمل ، وأتم ، مما يفعلون الآن •• ولذلك فان الحديث عن هذه الآيات لا ينتهى الا عند نهاية الحديث ، عند : « فى بيوت أذن الله ان ترفع ، ويذكر فيها اسمه »

قلنا ان المشكاة هى جسم ، أوقل جسد ، الانسان الكامل •• والمصباح قلبه ، والزجاجة عقله الذى عليه تنعكس صور الحقائق الأزلية المركوزة فى قلبه ، لأن القلب بيت الرب •• وقلت ، فى صدر هذا الكتاب : ان سماء الانسان عقله ، وأرضه قلبه — عقله المحسوس فى دماغه ، وقلبه النابض بين اضلاعه — كما أن أرضه جسمه •• فكأننى جعلت القلب ، والجسم ، بمعنى واحد •• وما ذلك الا لأن الانسان الكامل قلب كله — جسده كتلة من لحم القلب ، بلا قشر ، وبلا غلاف •• فحيث ورد الحديث عن الجسم ، فى هذا الكتاب ، فانما المراد هذا الجسم «القلبى» •• وعلى هذا المستوى من الفهم نفهم قوله تعالى : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ، ويذكر فيها اسمه •• » •• فان البيوت أجساد العارفين •• وفى طليعتهم الانسان الكامل •• فان جسد العارف قد أذن الله له أن يرفع من الأموات •• فهو انما يجىء الى هذه الدنيا من العالم الآخر •• والى ذلك اشارة النبى عن أبى بكر حيث قال : « من سره أن ينظر الى ميت يمشى فى الناس فلينظر الى أبى بكر •• » •• وجسد الانسان الكامل اذن الله له أن يرفع ، من مرتبة النباتية ، الى مرتبة الحيوان ، الى مرتبة الانسان ، وهى أعلى المراتب •• ومرتبة الحيوان هنا لا تعنى مجرد الحيوان الاعجم ، وانما تعنى أيضا مرتبة البشر الحاضر ، القاصر ، عن

تحصيل المعارف الالهية •• ذلك بأن الانسان الكامل يأذن الله له (لبيته) أو قل « لجسده » أن يرفع ، فيفتتح ، بهذه الرفعة ، دورة جديدة، من دورات التكوين على هذه الأرض •• فانه هو يرتفع : بهذه الدورة الجديدة ، فوق البشر المعاصر ،كما ارتفع البشر المعاصر فوق الحيوان الأعجم ، عند افتتاح الدورة البشرية المعاصرة ، هذه الدورة التى نعيش الآن فى أخرياتها ، ان شاء الله ••

« فى بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » من الذى يذكر ، فى هذه البيوت ، اسم الله ؟؟كل ذرة من ذرات جسم العارف •• بل كل بليون جزء ، من أجزاء ذرات جسم العارف ، (الحقيقة فوق العبارة) ، تذكر اسم الله بلسان المقال ، وبلسان الحال •• فليس فى دنيا الانسان الكامل غير الله ، لأنه هو الله •• فأنت ، بلا ريب ، تذكر قولنا عن تنزل الذات الصرفة الى مرتبة الاسم ، ثم الى مرتبة الصفات ، ثم الى مرتبة الأفعال •• وقد قلنا ان مرتبة الاسم هى مرتبة الانسان الكامل •• فالاسم الذى تنزلت اليه الذات الصرفة هو « الله » •• وهذا هو معنى قولنا ان الانسان الكامل هو الله ••

ان الحديث عن هذا الأمر طويل ، ولولا أنى أعرف حرصك ، وشدة رغبتك فى المعرفة لأخرت هذا الجواب الى وقت أجد فيه الفراغ •• ولربما أعود مرة أخرى •• وليكف الآن من هذا الأمر ما يسر الله •• وهو المسئول ان يتولى هداية الجميع الى طرق الصلاح ••

المخلص

محمود محمد طه

١٩٦٥/٩/١٥



كوستى فى ٢٠/٧/١٩٦١ م

عزيزى موسى : السلام عليك من عند الله ، سلاما زاكيا ، أما بعد : فانى استعين الله فى الوفاء لك بما وعدت •• وقديما قيل أنجز حـر ما وعد •• فالله أسأل أن يجعلنا « أعنى البشرية كلها » أحرارا ، فالأحرار وحدهم هم الرجال •

ولنبدأ بسؤالك الأخير الذى ذكرته لى يوم أن التقينا للمرة الاخيرة بالمحطة وهو : كيف يكون التوفيق بين قوله تعالى : « واذا أردنا أن نهلك قـرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحـق عليها القـول ، فدمرناها تدميرا •• » وقوله تعـالى : « قل ان الله لا يامر بالفحشاء » ؟؟ وأنت لا شك تذكر ما اتحدث به دائما من أن للقـرآن معنى بعيدا ، ومعنى قريبا •• وهو يسوق المعنيين دائما فى سياق واحد ••• فمن الناس من يفهم المعنى البعيد ، وذلك قصاراه ••• ومنهم من يفهم المعنى القريب ، وذلك قصـاراه ••• ومنهم من يلمح المعنيين معا •• وهؤلاء هـم المحققون ، بما وفقهم الله تعالى •• وهذا الذى اتحدث عنه هـو معنى قوله تعالى : « الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى ، تقشعر منه جلود الذين يخشـون ربهم ، ثم تلين جلودهم ، وقلوبهم ، الى ذكر الله ، •• ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ••• ومن يضلل الله فما له من هاد •• » • فمعنى مثانى ، هنا : أنه ذو معنيين ، أثنين ، يساقان معـا ، فى سياق واحد •• وسر ذلك ان الله تعالى خلق بالذات ، وخلق بالأسماء ،

وبالصفات •• ثم حجب الـــذات بالأسماء ، وحجب الأسماء بالصفات ، وحجب الصفات بالافعال ، واخفى سر الفعل فى المفعول •• والأمر كلــه أمر تنزلات ، ففى البدء ــ « ولا بدء » ــ كـــان الله ، ولا شىء معه •• وتلك مرتبة الذات الصرفه ، أو الذات الساذج ••• فهى لا تعــرف ، ولا تسمى ، ولا توصف : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » •• ثم كان التنزل الأول •• فكانت كلمة « الله » •• وهى ، فى معناها القــــريب ، اسم للمحـــــدث الكامل ــ الانسان الكامل ــ وهى فى معناها البعيد ، ليست الا اشارة ، بســـيطة ، غامضـــة ، قاصرة ، الى « القديم » ــ الى الذات ــ التى لا توصف ، ولا تسمى ، ولا تعرف ، وانما يشعر بها جميع الخلائق • شعورا يتفق ، فى الأصل ، ويختلف ، فى المقــــدار ، باختلاف تحصيل كل محصل ، وعلم كل عالم : « ولا يحيطون بشىء من علمه ، الا بما شاء •• » فالتنزل الأول ، من الـــذات الساذج ، الى مرتبة الأسماء : « الله » • ثم التنزل الثانى ، من مرتبة الاسماء ، الى مرتبة الصـــفات « الرحمن » ــ ولقد قال تعالى : « قل أدعوا الله ، أو أدعوا الرحمن ••• أيا ما تدعـــوا ، فله الاســـماء الحسنى » •• «فالرحمن» فى طـــــرفها الأعلى ، ملحق بالاسماء ، وفى طرفها الأدنى ، (وهــــــذا مجرد تعبير للتفهيم ، والا ، فلا أعلى ولا أدنى) ملحق بالصفات ــ وتليها فى التنزل صفة « الرحيم » وهى صفة مطلقة •• وقد أثر عـــن عيسى عليه السلام أنه قال : « الرحمن » رحمن الدنيا ، والآخـــرة •• و « الرحيم » رحيم الآخرة •• وكلا الصفتين خاص بالرحمة ، غير ان الرحمة « بالرحمن » أعم ، « وبالرحيم » أخص •• « وكـــان بالمـــؤمنين رحيما » •• ومعنى الرحمة انها نهاية العلم ، ونهاية الحكمة ، ونهاية الرأفه •• وهذا المعنى هو الذى يراد ، حين نتحدث عن : « ارادة الله » فانها من الرحمة بحيث يجب أن نرضى بها ، وان جرت بخلاف ما تهوى أنفسنا ، وذلك ثقة بالله لأننا ، لمـــا كنا فى نهاية الجهل ، فقد تهوى أنفسنا شيئا وهو شر لنا ••

فكان الحزم يقضى بأن نرضى بما يريد لنا « الحكيم الرحيم » لأنه اعلم بمصلحتنا منا ، وأرأف بنا منا •• وهذا الحديث عما تهوى أنفسنا ، وما تبغض ، يسوقك الى معــــرفة أن رحمة « الرحمن » تشمل الضدين — تشمل ما نسميه خيرا ، وتشمل ما نسميه شرا •• ولقد قلنا : ان الرحمة هى « الارادة » فاذا ، جئنا « للأمر » وجــدناه على مرتبتين ، وذلــك باعتبار التنزلات التى تحدثنا عنها آنفا : مرتبة فوق « الارادة » ومرتبة تحت « الارادة » وهذا أيضا مجرد تعبير للتفهيم •• فاذا فكرت فى ان معـــــرفة الله ، بالنسبة للعبد ، أشبه بمراقى السلم — مـن الله ذى المعارج — والمعارج هى المراقى فى المعرفة ، أدركت معنى قولنا السابق فى أن الأمر له مرتبتان ، واحدة فوق الارادة ، والأخـــرى تحتها •• « فالأمر » الذى فوق « الارادة » ، كقوله تعالى : « انما أمره ، اذا أراد شــيئا ، أن يقــول له : كن ! ! فيكون •• » •• أو مثل قوله تعــالى : « أنا كل شىء خلقناه بقدر * وما أمرنا الا واحــدة كلمح بالبصر » •• « والأمر » الذى تحت « الارادة » كقوله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل ، والاحسان ، وايتاء ذى القربى •• وينهى عــــن الفحشاء ، والمنكــر ، والبغى •• يعظكم •• لعلكم تذكــرون •• » •• وكقوله تعــــالى ، فى ابليس : « قال : ما منعك ألا تسـجد اذ أمرتك ؟؟ قال أنا خـير منه •• خلقتنى من نار ، وخلقته من طين ! ! » •• فاذا علمنا ذلك ، عـن المعنى البعيد ، وعن المعنى القريب ، لكلمة « الأمر » أتضح لنا انه لا تعارض فى قول الله فى الآيتين اللتين تستفسر عنهما •• قال تعالى : « واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ، فحـق عليها القول ، فدمرناها تدميرا •• » فهذا « الأمر » هو الذى فوق « الارادة » •• وهـو بذلك شامل للضدين : الخـير ، والشر ، وموحــــد لهما ، جميعا ، فى معنى الرحمة •• ففى تدمير القرية خير لها ، حتى أن أهلها لو اطلعوا علــــى

حقيقة الأمر لاختاروا التدمير ، ورضوا به •• ولكنهم فى حالة حجابهم ، وجهلهم ، يسخطونه ، ولا يرضون به : «ان الله لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس انفسهم يظلمون» •• وستسأل انت : ولكن اذا فسق المترفون فما ذنب القرية حتى تدمر بفسقهم ، والله تعالى يقول : «ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا» ؟؟ وجواب سؤالك مضمن فى الفاءات المتعاقبة فى الآية الكريمة («ف» فسقوا فيها) («ف» حق عليها القول) («ف» دمرناها تدميرا) ••• لأن هذه الفاءات انما تفيد تراخى الزمن •• فكأن الفسق وقع من المترفين ، حين عبر عنه تعالى بقوله : «ففسقوا فيها» ، ثم جاءت فاء «فحق» ، فأفادت ، فى تراخى الزمن ، ان أهل القرية كانوا ، فى بادىء أمرهم ، أو قل كان منهم ، من يقاوم هذا الفسق بيده ، وذلك لكثرة ناصريهم ، ولقلة ، وضعف المترفين ، الفاسقين •• ثم تراخى الزمن ، فقل المقاومون للفسق بأيديهم ، وكثر المترفون الفساق ، فلم يكن من خيرة لأهل القرية الا ان يقاوموا الفساد ، والفسق ، بألسنتهم •• ثم تراخى الزمن ، وزاد على تراخيه عدد المترفين الفساق ، وقوى أمرهم ، وقل عدد ، وضعف أمر ، المقاومين للفسق ، من أهل القرية ، حتى اصبحوا لا يستطيعون أن يجهروا بمقاومة الفسق بألسنتهم ، ولم يستطيعوا ، الا أن ينكروا الفسق بقلوبهم •• ثم تراخى الزمن ، وانتقل الجيل الذى بقى ممن ينكرون الفسق بقلوبهم ••• وخلف خلف جديد ، أضاعوا الصلوات ، واتبعوا الفساد •• ومن الجانب الآخر ، قوى أمر المترفين ، حتى أصبحوا الغالبين ، والآمرين الناهين فى القرية ، ولم يبق فيها الا تابع لهم ، مغتبط بهم ، متزلف اليهم ، راض عنهم •• ولم يعد فى أهل القرية واحد ينكر الفسق ، حتى بقلبه ، وهو أضعف الايمان ، فهذا التدرج فى الانحطاط هو معنى قوله تعالى : «فحق عليها القول» ••

ولقد قرأ بعض القراء واذا أردنا ان نهلك قرية « أمرنا مترفيها » ، أى جعلناهم الأمراء •• وأنت تعرف القولة المأثورة : « الناس على دين ملوكهم » ، وذلك لأنك أنت قد تستطيع أن تقاوم الفساد ما دام لا يملك الا وسائل الفساد ، كالثروة ، مثلا ، ولكن الأمر يصبح جد عسير اذا كان الفساد يملك ، مع الثروة ، السلطة الفاعلة ، التاركة •• فأنت ، فى الأول ، لا تستضر ، أو لا تكاد تستضر ، بشىء ، فى أمر من أمورك ، حين تقاوم فسق الفاسق المترف •• ولكنك ، حين يصبح صاحبنا المترف ، هو ، الى ترفه ، صاحب الامر ، والنهى ، تتعرض لعنت شديد ، اذا قاومت فسقه •• وهذا العنت لا يصبر عليه الا أولو العزم ، وهم قليل ، ويقلون كل يوم من أيام بعض الحقب المظلمه ، المتعرضه للامتحان •• ف « أمرنا » هنا فى الآية : معناها قريب من « أردنا » لهم ، و « كتبنا » عليهم ، فى «الأزل» ، بمقتضى الحكمة السابقة •• ولا تكون « اللاحقة » الا وفقا «للسابقه» وحكمة الله محيطة « بالسابقة » و « باللاحقة » •• فاذا ما جئنا لقوله تعالى : « واذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها •• قل : ان الله لا يأمر بالفحشاء •• اتقولون على الله مالا تعلمون ؟؟ * قل : أمر ربى بالقسط •• وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد •• وادعوه ، مخلصين له الدين ، كما بدأكم تعودون •• » وجدنا أن « الأمر » هنا هو « الأمر » الذى تحت « الارادة » وهو المقابل « للنهى » •• وتلك منطقة «الشريعة» كما أن الأول منطقة «الحقيقة» •• والله تعالى ينقل الناس « بالشريعة » الى « الحقيقة » ••

ولقد سقت لك ، فى هذا الكتاب : مثلين ، فيما سبق من أمثلة ، للأمر الذى فى منطقة الشريعة •• وفى هذه الآية الأخيرة مثال ثالث : « قل أمر ربى بالقسط الآية » ، والأمثلة على ذلك فى القرآن كثيرة ،

راجعها ، بنفسك فى المصحف ، وأحصها ، تجد بذلك متعة كبيرة •• فكأن معنى الآية هنا : ان الله لا يرسل رسلا بشرائعه ، ويؤيدهم بآياته ، ثم يأمر ، على ألسنتهم ، بالفحشاء •• وحين قالوا : « والله أمرنا بها » ، قال الله ، فى الزراية عليهم : « أتقولون على الله ما لا تعلمون ؟؟ » وفى تلك اشارة لطيفة الى أن قولهم هذا ليس باطلا ، مطلق البطلان ، ولكنهم هم لا يعلمون مبلغ ما فيه ، من البطلان ، ومن الحق ، حين قالوه •• وانما أرادوا به ابطال الشريعة السمحة ، التى جاءت لتنقلهم ، نقلة جديدة ، عما وجدوا عليه آباءهم ، من العادات الذميمة •• وفى ذلك رد لطيف أيضا على من يحتج بالحقيقة ، بدون أن يأتيها عن طريق الشريعة ، لأنه لم يأت البيوت من ابوابها •• وهذا مثل قول الله تعالى ، حكاية عنهم : « واذا قيل لهم : انفقوا مما رزقكم الله ، قال الذين كفروا ، للذين آمنوا ، أنطعم من لو يشاء الله اطعمه ؟؟ ان أنتم الا فى ضلال مبين •• » •• ففى الحقيقة أن الله يطعم الناس جميعا •• ولكن اقتضت حكمته ان يجعل أرزاق الناس بواسطة بعضهم ، بعضا ، حتى يقوم التكافل ، ويتم العمران •• فانهم قد ذهلوا عن الحكمة التى اوجبت الشريعة ، واحتجوا بالحقيقة •• فكان قولهم ، من ثم باطلا •• فاذا رأيت ان هذا القدر من الرد يكفيك ، والا فاكتب لى عما عن لك ••

والآن فلننظر فى سؤالك الثانى •• وهو سؤال مزمن منك ، فى مسألة مزمنة من العلم •• أنت تسأل عن آية الكهف : « من يهد الله فهو المهتد •• ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » فاذا كان الأمر كذلك ففيم العقاب ؟؟

والجواب على سؤالك قد ياخذ شرحا طويلا جدا •• ولكنى أريد ان اختصره ، وأترك لك الباقى •••• أولا ، هذه الآية حق لا شك فيه •• والمطلوب الوصول الى استيقان هذا الحق ، عن طريق الشريعة ، بالعمل

المتدرج على التخلص من أوهام « الارادة » البشرية ، حتى تفضى هذه الممـارسة بالسالك الى اسـتيقان تلك الحقيقة ، وهى ان الهـدى ، والضلال ، من الله •• فاذا كان السالك لم يتخلص من ارادته ، فانه يعذب بارادته هذه •• والعذاب انما المقصود منه زيادة اللجأ الى الله ، واظهار التذلل له ، حتى يتم الخـلاص من وهـم الحرية المستقلة •• فاذا تم الخلاص من الوهم لم يكن الا العلم •• واذا صفا العلم كان العبد كالظل لمولاه ، يتحرك حيث يحركه ، ويسكن حيث يسكنه ، من غير اعتراض ، أو خاطر اعتراض •• فاذا كان العبد كذلك كانت ارادته ارادة مولاه •• وكان علمه علم مولاه •• وكانت قدرته قدرة مولاه •• فأصبح حرا مـن الوهم ، والجهل ، والعجز ، والمـوت •• وصار حيا ، وعالمـا ، ومريدا ، وقادرا ، حياة الله ، وعلم الله ، وارادة الله ، وقـدرة اللـه ، وصـار « الله » •• وهيهات !!

فتفطن ، واقرأ هذا الخطاب ، من أوله ، مرة ثانية ، واستعن بالله ، ثم بصلاة الليل ، وصيام النهار •• ودم فى حفظ الله ، وتوفيقه ، فانى أسأله تعالى ان يجعلك من ارباب البصائر والابصار •

انه سميع مجيب •• ؟

المخلص

محمود محمد طـه

ايمان المقلد !! هل به نجاة ؟؟

حضرة السيد السر محمد أحمد

لقد اطلعت على سؤالك الموجه لى فى صحيفة « انباء السودان » الغراء ، بتاريخ السبت ٤ ابريل •• والسؤال هو :ـ

« ولدت لأجد نفسى مسلما ، عن تقليد ، دون درس ، أو فحص ، أو اقتناع •• وغيرى ولد ليجد نفسه مسيحيا ، عن تقليد أيضا •• فلم انجو انا ، ويعاقب هو ؟؟ ثم هل تعتقد : ان هذا الدين الذى نأخذه تقليدا صحيح ؟؟

والايمان بالله !! ان قام على اساس التقليد هل هو صحيح أيضا ؟؟

هذا هو السؤال فى جملته وهو ذو ثلاث شعب •••• فاما شعبته الأولى فان لها صورة « دنيوية » ، سئلت عنها مرارا عديدة ، فى المقام السياسى ، فيما يخص العلاقة بين الشمال ، والجنوب ، حين ندعو دعوة الاسلام •• وكانت الاجابة على مقتضى الحال ، لا تتعدى أمر التنظيم الادارى للمواطنين فى الوطن الواحد ، حين تختلف اديانهم ••

ولكن السؤال يوضع الآن امامى بصورته « الاخروية » ، وهى صورة تتطلب الحديث عن أمر أبعد من مجرد التنظيم الأدارى ، ولعله من حسن التوفيق أن يوجه مثل هذا السؤال الطريف ، لأنه يكشف ، أو قل لأن الأجابة عليه يجب أن تكشف عن سماحة الاسلام التى لا تجارى •

كنا نقول فى الاجابة على من يسأل عن مشكلة التنظيم الدينى لبلد تختلف فيه الأديان : ان الاسلام لا يكره أحدا على اعتناقه ، فهو يقول : « لا اكراه فى الدين •• قد تبين الرشد من الغى » •• ثم هو انما يبنى

تشريعه على القيم الانسانية التى تصون حق الفرد ، وحق الجماعة ، والتى تلتقى فيها الأديان جميعا ، وبذلك يستطيع الرجل المهذب السلوك ، بصرف النظر عن دينه ، ان يتجاوب مع هذه القيم الخلقية ، لأنها انما قامت لخدمة اغراض المجتمع المتمدين ، واغراض الفرد الحر ٠٠ وكنا نقول : أن الاسلام ، حين احترم الأديان الأخرى جميعا ، وجعل لاهلها حق القيام بشعائرها ، بمراسيمها ، فى احترام وفى حرية ، وضع حدا ادنى للسلوك ، من تعداه أخذ بالقانون ، ومن سلك فى مستواه ، أو فوقه ، لم يسأل قانونا ، عن أمر من أمور الدين ، أو امور الدنيا ، واعتبر ، كل ما عدا هذا الحد الأدنى ، امرا شخصيا ، خاصا بالفرد ، له فيه حق الحرية ، وحق الصون ٠٠

والآن فان الأجابة على سؤال السيد السر تأخذنا ، كما قلت ، أبعد من هذا ، وتبين لنا بوضوح سماحة الاسلام ، وجلال تعليمه ٠٠ اقرأ هاتين الآيتين : « قل يا أهل الكتاب ! ! لستم على شىء حتى تقيموا التوراة ، والانجيل ، وما انزل اليكم من ربكم ، وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا ، وكفرا ، فلا تأس على القوم الكافرين * ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والصابئون ، والنصارى ، من آمن بالله ، واليوم الآخر ، وعمل صالحا ، فلا خوف عليهم ، ولاهم يحزنون ٠٠ » وما أرى ان هذا بحاجة الى شرح شارح ، وانما هو واضح ٠٠٠ فلو انهم اقاموا التوراة ، والانجيل ، لما شاقوا محمدا ، ولزادهم ما انزل اليه من ربه نورا على نور ، لا طغيانا ، وكفرا ٠٠ وليس هلاك من هلك من هؤلاء يأتيهم عن مخالفتهم محمدا ، وانما لأن هذه المخالفة تنهض دليلا على مخالفة وراءها ، هى خيانة أمانة التوراة ، والانجيل ، وما انزل اليهم من ربهم ٠٠ ونتج عن خيانة امانة التوراة ، والانجيل ، مفارقة القيم الأخلاقية التى تصون حق الفرد ، وحق الجماعة ، والتى تلتقى فيها

الأديان جميعا كما سلف القول بهـــذا ، قبل قليل •• ولقد عبرت الآية الاخيرة عن هذه القيم اجمل تعبير ، وذلك حين قالت : « من آمن بالله ، واليوم الآخر » فان بهذا الايمان صيانة حـق الفـرد لنفسة ، فى نفسه واما العمل الصالح فان به صيانة حق الفرد ، وصيانة حق الجماعة •• وبين حق الفرد ، وحـق الجماعة ، من التواشـــج ما يفسر سر الربط دائما ، فى القرآن ، بين الأيمان ، والعمل الصالح ، حتى انه ، حيثما ذكر الايمان مطلقا ، فـــان القيد بالعمل الصــــالح ، مفهوم ، بالضـرورة ، وموجود ، ولا يكون عمل الفـــرد صالحا ، لنفسه ولا لمجتمعه ، الا اذا انبعث من نية صالحة •• ولقد جاءت الاشارة للنية الصـالحة فى عبارة الأيمان ، بالله واليوم الآخر ، خير مجىء ••• وادنى العمل الصـــالح كف الاذى عن الناس •• ولذلك قلنا : أن الاســلام وضع حـدا ادنى للسلوك ، من تعداه أخذ بالقانون ، ومن سلك فى مستواه ، او فـوقه ، لم يسأل « منا » عن أمر من امور الدين ، أو أمر مـن امور الدنيا •• فانت لا تنجو لمجرد انك مسلم بالتقليد ، وانما تنجو اذا يسر لك اسلامك الايمان بالله ، واليوم الاخـر ، والعمل الصالح •• والمسيحى لا يهلك لمجرد انه غير مسلم ، وانما يهلك اذا نهض عـدم الايمان وعـدم القيام بالعمل الصالح •• واليك آية اخرى فى هذا : « ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين ، من آمن بالله ، واليوم الآخر ، وعمل صالحا ، فلهم اجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون » ••

وشعبة سؤالك الثانية تقول : « ثم هل تعتقد ان هذا الدين الذى نأخذه تقليدا صحيح ؟؟ » والجواب : ان التقليد فى الدين يصح بـداية ولا يصح نهاية •• وهو ، على كل حال ، ان حمل صاحبه علـى الأيمان بالله ، واليوم الآخر ، وعلى العمل الصالح ، (وادناه ، كما قلنا آنفا ، ان تكف اذاك عن الناس) فان فيه خيرا ، وان كان خـيره لا يقاس الى

عمل من اسلم عـن درس ، وفهـم واقتناع •• وحين قال النبى الكريم «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» ، انما اراد أن ليس فيمـا دون ذلك حظ لمسلم •• فان استطاع ، مسلم بالتقليد ، ان يكون كذلك فقد فاز ــ وما فى دون ذلك مفــازة ••• وشعبة سؤالك الثالثة تقــول : «والأيمان بالله ، ان قام علـــى اساس التقليد ، هل هـــو صحيح أيضا ؟؟» ••

والأجابة عليها كالاجابة على سابقتها ، فان هذا الأيمان ان حمـل على العمل الصالح ، وارشد اليه ، فانه خير ، وله عنـد الله منزلته ــ والمنازل عند الله شتى ••

فالعبرة فى كل اولئك ــ فى المسلـم المقلد ، وفى المسيحى المقلد ، وفى الاصلاء منهما ــ العبرة بالثمار ••• فمن طرح منهم ثمرا صالحا فهو صالح ، او طرح ثمرا طالحا فهو طالح •• وعلى هـــذا وذاك ، وجب الثواب ، أو العقاب •• و «على قدر اهل العزم تأتى العزائم» ••

محمود محمد طـه

أليس في الامكان استنباط عالم خال من الشر ؟؟

يسأل الاستاذ محمد عمر محمد سؤالين ، فيقول : « كيف ينسجم وجود الشر ، بصوره المختلفة ، مع وجود قوة خلاقة « خيرة » ؟؟ وكيف يمكن أن تكون القوة الفاعلة ، البناءة ، المحافظة ، التى شملت بعنايتها كل شىء ، هى علة الشر الهدام ؟؟ » ..

« وهذه القوة !! أتنظر الى كل جزئية ، من جزئيات الطبيعة ، على حدة ، أم تنظر الى الكون كله على أنه وحدة عظمى لا تتجزأ ؟؟» .. ثم يقول : « ليس بيننا من يقول بالرأى الأول ، لاستحالة الأخذ به .. اما القول بالرأى الثانى ، وهو الصحيح عقلا ، فانه يتطلب منا أن نتساءل :

« هل أريد بالشر التضحية الجزئية فى سبيل خير الوحدة ، أو المجموعة العامة ؟؟ وألا سبيل هناك الا بوجود الشر فى حدود عامة لخير الكون الأكبر ؟؟ » اذا صح هذا الدفع عن وجود الشر ، فان السؤال لايزال قائما : « أليس فى الامكان استنباط عالم خال من الشر ؟؟ فان حصر الشر فى مناطق معينة ليس بالاجراء الذى تقتضيه العدالة الاجتماعية .. » .. اهـ ..

هذه جميعها أسئلة شيقة .. وقبل أن اشرع فى الرد عليها أحب أن أقرر حقيقتين دقيقتين ، هامتين ، من لا يعرفهما لا يستطيع أن يدرك كبريات حقائق الوجود التى تعالجها هذه الاسئلة الشيقة .. فأما الحقيقة الاولى فهى أن الكون كله موجود فى كل جزء منه .. وأما الحقيقة الثانية فهى أن ليس فى الوجود كائن ، وانما كل شىء مستمر التكوين ، ما خلا الله —

« القوة ، الخلاقة ، الخيرة — » ..

فبتقرير الحقيقة الأولى يزول اللبس القائم فى قولك : «وهـذه القوة !! أتنظر الى كل جزئية من جزئيات الطبيعة ، على حدة ، أم تنظر الى الكون كله على أنه وحدة عظمى لا تتجزأ ؟؟» .. ذلك بانه ، فى نظر تلك القوة ، ليس هناك جزء ، ولا كل ، وانما هو الكون ، قائم ، بتمامه ، فى أى جزء من أجزائه .. فهى حين تنظر ترى الشمس فى الذرة ، وما الكل ، ولا الجزء ، وما الكبر ، ولا الصغر ، الا فى الأوهام التى تمنى بها العقول القواصر ، ويترفع عنها العقل المحيط ، أو « القوة الخلاقة ، الخيرة » على حد تعبيرك ، وينتفى بتقريرها أيضا اللبس الماثل فى قولك : « هل أريد بالشر التضحية الجزئية فى سبيل خير الوحدة ، أو المجموعة العامة ؟؟ وألا سبيل هناك الا بوجود الشر ، فى حدود عامة ، لخير الكون الاكبر ؟؟» .. وانما ينتفى اللبس لأنه بتكامل الكون ، هذا التكامل الذى تقرره الحقيقة الأولى ، يصبح من غير المعقول ، أن تخدم مصالح الكل باهدار مصالح الجزء .. ذلك بأن الكل ، والجزء ، فى حقيقة الأمر ، شىء واحد ، وانما وقع التفريق بينهما من وجهة نظرنا نحن .. وذلك نظر قاصر .. فانه انما تخدم مصالح الكل بخدمة مصالح الجزء ، وفى نفس الوقت .. وههنا مزية تشريعية كبرى ، وهى : ان أى تشريع نضعه ، نحن البشر ، لتنظيم كوننا لا يمكن أن يخدم حقيقة أغراضنا ، فى هذه الحياة ، اذا ما أهدر حق الفرد فى سبيل تحقيق حق الجماعة — على نحو ما تفعل الشيوعية مثلا .. ولنعد للموضوع .. ولنبدأ بأول السؤال : « كيف ينسجم وجود الشر ، فى صوره المختلفة ، مع وجود قوة خلاقة « خيرة » ؟؟ وكيف يمكن أن تكون القوة الفاعلة ، البناءة ، المحافظة ، التى شملت بعنايتها كل شىء ، هى علة الشر الهدام ؟؟» ..

وهنا تفيدنا الحقيقتان المقررتان آنفا ، فبأولاهما نعلم : أن وحدة

الوجود لا تقر الثنائية المتمثلة فى الخير والشر، وانما الوجود خير محض، فى حقيقته •• وما الثنائية الا مظهر سببه أوهام عقولنا نحن •• ويكفى أن نقول انه، حتى بعقولنا القواصر، قد استطاع المتازون منا أن يدركوا ادراكا يقينيا، أن الخير موجود، حتى فى الشر، وأن الموت، الذى هو أكبر الشرور، انما هو، فى الحقيقة، ميلاد جديد، فى حيز جديد، نجهله نحن جهلا كبيرا ••

اما بثانيتهما فاننا نعلم : أن كل ما فى الوجود، ما خلا الله، فى تطور مستمر •• وهو، فى تطوره، خاضع، كل الخضوع، لارادة العقل المحيط : « الله » •• أو قل : (القوة الخلاقة « الخيرة ») على حد تعبيرك انت •• ثم انه اذا ما ارتقى، فى تقلبه، وتطوره، الى مرتبة الانسان المدرك لحقائق الوجود، ادراكا يقينيا، أصبح تطوره خاضعا لارادة عقله هو، ذلك بانه حين استيقن عقله من حقائق الوجود ما وصله بالعقل المحيط قد صار طرفا منه، أو صار هو اياه •• فهو، فى ذلك المقام، لا يرى ثنائية الخير والشر، وانما هو الخير المطلق ••

فالشر ليس أصلا، وانما هو عارض سببه أوهام العقل القاصر، وسيزول باكتمال العقل، وباحاطته بحقائق الوجود، احاطة المستيقن حق الاستيقان •• وذلك أمر آت، وقريب ••

« أليس فى الامكان استنباط عالم خال من الشر ؟؟ » بلى !! ولكنه عالم غير كامل، لأنه لم يكتسب معرفته بالتجارب، وانما هو قد ضربت عليه الهداية، ضربة لازب، وبذلك فقد الحرية، ومن ثم جاءه النقص •• ذلك بأنك لا تبلغ الكمال الا ببلوغ الحرية الفردية المطلقة •• وأنت لا تبلغ الحرية الفردية المطلقة الا بممارستها، وتحمل المسئولية عنها •• ولا يستقيم لك هذا الا باضطرابك فى محيط الثواب : « الخير »، والعقاب، « الشر »، حتى

تنتصر ، بترويض عقلك ، على موجبات العقاب ، فتنتصر بذلك على الشر •• وتعيش فى عالم الخير المطلق ، الذى ليس للشر اليه من سبيل ••

المخلص

محمود محمد طه

الخير والشر .. الفضيلة والرذيلة

تعقيب على الأستاذ كمال شانتير

كوستى ٥/٨/١٩٦١م

عزيزى شانتير ..

تحية طيبة وبعد :ـ

فانك ، فى بعض لقائنا فى الخرطوم ، قد لفت نظرى الى كلمة نشرت لك بجريدة : « الرأى العام » .. ولم تكن قد اتفقت لى يومئذ ، ولكنى ، لدى منصرفى ، سألت عنها ، ووفقت اليها ، وعن لى ، ساعتئذ ، أن أكتب فيها اليك يوما ما ، فاحتفظت بهـا ، ولم يتـح لى الوقت الا اليوم .. كلمتك نشرت فى باب « صور وألوان » ، بعـدد يوم ٩/٣/١٩٦١ م ، تحت عنوان « محاولات » ، تحدثت فيها عن الخير ، والشر ، والفضيلة ، والرذيلة ..

ولقد كانت الكلمة مشرقة ، تتسم بالحيوية ، والـذكاء ، وتضطرم بالثورة ـ الثورة على قيود الفكر ، وقيود التعبير ـ شأنها ، فى ذلك ، شأن كل ما يخرج من قلمك ، وانى لأرجو الله أن يفتح بك فتحا يخصب به حياة الفكر ، وحياة الشعور ، لدى الانسانية جمعاء ..

بعد أن تحدثت عن خطيئة حواء تساءلت : « فلماذا ، اذن ، لم تكن بداية أفعال البشر فضائل ؟؟ » .. ثم ذهبت تقول : « هناك اعتقاد بأن الفضيلة هى الغرض الجاهز ، المفروض علينا توظيفه فى أفعالنا ، وذلـك بأن الفضيلة ، بطبيعتها ، لا تكلف الانسان شيئا .. فدخـول الجنـة أسهل ، بكثير ، من دخول النار .. وممارسة الفضيلة أسهل ، بكثـير ، من ممارسة الرذيلة .. » ..

« الفضيلة لا تحتاج الى ذكاء .. ولا الى ثقافة ، ولا الى الحاح ،

لأنها طيبة ، سهلة ، طبيعية .. بعكس الخطيئة التى تحتاج الى ذكـاء ، وادراك ، ورفض » ، الى آخر ما قلت عن كلتيهما ، ويبدو لى أن هنـاك خطأ أصيلا فى تفكير المفكرين الذين استأنست برأيهم فى هذا الموضوع ، كما ذكرت ، حين قلت : « هذه محاولة بسيطة لطبيعة اليمين ، واليسار ، فى النفس البشرية ، عند بعض المفكرين .. » ثم انك تقول : « ولكن من وجهة نظر نقدية ، بسيطة ، أيضا ، سنجد أنه لا توجد فضيلة مطلقة ، ولا توجد رذيلة مطلقة .. هناك فعل بشرى يحتمل التقييمين ، ولكل منا ، فى فعله ، وجهة نظره الخاصة ، وعلة رأيه ، وسببه .. فالفضيلة ، فى لحظة ، قد تنقلب رذيلة ، فى لحظة أخرى .. لأن الانسان الذى يمارس الفعـل محكوم عليه بالحرية .. وهو ، دوما ، فى تعال ، وصيرورة .. لهـذا يستحيل أن يظل فعل الموقف المعين فضيلة مطلقة ، لموقف آخر ، وانما يكون الفعل رذيلة لرذيلته فى الموقف المعين فقط .. بذلك يمكن أن نكشف مدى الجفاف الثقافى لبعض النظريات ، والفلسفات القديمة ، والمعاصرة ، عندما تنظر بعين المطلق الى البشرية .. » ..

هذا ختام كلمتك .. وأكاد أكون قد نقلتها برمتها ، حتى لا يفوتنى شىء مما تريد .. وحتى أذكرك بالكلمة ، ان كان العدد قد ضاع منك ..

أولا أحب أن تعرف أنى معجب ، وبدون تحفظ ، بهـذه العبارة : « لأن الانسان الذى يمارس الفعل محكوم عليه بالحرية .. » .. ولست أبالى ان لم يحو مقالك غيرها ، فانها من جوامع الكلم ، وجوامع المعنى ، وجوامع التعبير ، أيضا ..

ولكـن ما هى الفضيلة ؟؟ وهل هى مقابلة ، مقابلة تامة ، للرذيلة ؟؟ هل هى فى أقصى اليمين ، حين تكون الرذيلة فى أقصى اليسار ؟؟

الفضيلة ليست مقابلة للرذيلة ، الا لدى حـديثنا عـن القيم النسبية .. فاذا ما تناهت النسبيات الى الأصول اتضح أن الفضـيلة

تقف وحدها فى أرض الوحدة ، لا يقابلها شىء ما ، ذلك لأن الرذيلة فرع ينتهى فى منطقة النسبية ولا يتعداها ..

ما هى الفضيلة ؟؟ هى حسن التصرف فى ممارسة الحريه الفردية المطلقة !! وما هى الرذيلة ؟؟ هى أحد ثلاثة أمور ، مختلفة المستويات ، هى اما الخطأ فى ممارسة الحرية الفردية المطلقة ، واما النكوص عن استعمال ، أو قل عن ممارسة الحرية الفردية المطلقة ، واما سوء التصرف المتعمد فى ممارسة الحرية الفردية المطلقة ..

الأصل الفرد لا الجماعة

ان الأصل هو الفرد ، لا الجماعة .. الفرد — أى فرد — هو الغاية ، والجماعة هى الوسيلة الى تلك الغاية — بخلاف رأى الشيوعيين ، والفاشيين — ومن ثم فالحرية الفردية ، المطلقة من كل قيد ، أصل ، ولكن ممارستها ، والاستمتاع بها ، يتطلب حذقا فى الفهم ، وسماحة فى الخلق ، يجنبان الفرد التعدى على حريات الأفراد الآخرين الذين يزاملونه فى رحلة الحياة الطويلة ، ويعينونه عليها .. فاذا قل هذا الحذق ، وساء ذلك الخلق ، انحرف الفرد عن الفضيلة ، وتورط فى الرذيلة ، وأخذ بالعقوبة ، على حسب جرمه .. والعقوبة منصوص عليها فى نظام مكون الكون .. وجماعها : « كما تدين تدان » .. وقد عكستها قوانين الجماعة فى صورة القصاص المعروفة ، وما يتفرع عنها .. وفى بادىء ذى بدء كان الفرد البشرى حيوانا سائما ، لا يعرف الحدود ، ولا القيود .. فلما استوى وأصبح لابد له من أن يرتفع ، عن طوق الحيوانية الى بدء الانسانية ، قيد .. ففرض عليه : « الحلال ، والحرام » .. ذلك بأنه لا يمكن أن يرتفع عن مستوى الحيوانية الا اذا بدأ بضبط نزوته ، لأنه بذلك يبدأ السيطرة على نفسه ، وتبدأ ارادته فى الظهور .. وهذا هو السر فى ظهور جرثومة الشريعة .. ولقد كنى

القرآن عنها كناية هى غاية فى اللطف ، حين قال : « ويا آدم أسكن ، أنت وزوجك ، الجنة ، فكلا من حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ٠٠ » ، فهما يأكلان من الجنة حيث شاءا ، ليس عليهما الا قيد واحد ٠٠ وليس القيد مقصودا فى ذاته ، بالطبع ، ولكنه ضرورى ليقوم حدا بين الفوضى الحيوانية ، والحرية الانسانية ٠٠ وهو ضرورى لابراز قوة ضبط النفس ، تلك التى تمثل أول مرقى من مراقى الانسانية فوق وهاد الحيوانية ٠٠ فلما ضعفت حواء عن ضبط نفسها ، وتبعها آدم ، وقع سوء تصرف فى ممارسة الحرية الفردية المطلقة ، فكانت الرذيلة ، وكانت العقوبة ، من جنس العمل ، وهى الحرمان من النعيم ٠٠ وقد حكى القرآن عنها بقوله تعالى : « قال اهبطوا !! بعضكم لبعض عدو ٠٠ ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين » ٠٠ وانما عبر عن العقوبة بالهبوط ، فقال : « أهبطوا » لأنهما بفعلها ، حين عجزا عن السيطرة على النفس ، قد هبطا من مستوى البشر الى مستوى السوائم ٠٠ فانت ترى اذن أن الفضيلة ليس « اساسها القبول » كما تقول ، وانما أساسها الذكاء ، والمجاهدة لضبط النفس ٠٠ وليس من الحق قولك : «فدخول الجنة أسهل ، بكثير ، من دخول النار ٠٠ وممارسة الفضيلة أسهل ، بكثير ، من ممارسة الرذيلة ٠٠» ذلك بأن ممارسة الرذيلة ان هى الا ارسال النفس على هينتها تنحدر فى دركات الحيوانية التى ما ارتفعت الانسانية فوقها الا بالدماء ، والدموع ، والعرق ، فى الآماد السحيقة ، منذ فجر الحياة البشرية ٠٠

الفضيلة أصل والرذيلة فرع

والرذيلة انما كانت فرعا ، ولم تكن أصلا كالفضيلة ، لأنها نتيجة خطأ ٠٠ والخطأ ، أيا كان ، فانما هو نتيجة جهل ٠٠ وأنت تعلم أننا نتعلم باستمرار ٠٠ وانما نتعلم بأخطائنا ٠٠ فاذا ما مارسنا حريتنا الفردية

ممارسة تامة فنحن معرضون لاحد أمرين : اما ان نصيب ، واما ان نخطىء •• فاذا ما أصبنا أصبح عملنا فاضلا •• واذا ما أخطأنا أصبح عملنا رذيلا •• وتتفاوت درجات الفضيلة كما تتفاوت دركات الرذيلة •• فاذا ندمنا على خطئنا كان ذلك ايذانا منا بأننا قد استفدنا من الخطأ ، وانقلبت الرذيلة فضيلة بمجرد الندم عليها •• سواء أدفعنا ثمن الخطأ بعقوبة مادية ، أم لم ندفعه ••

الفضيلة حسن التصرف فى الحرية

والحق أن مجرد ممارسة الحرية الفردية فضيلة •• والخطأ لا يجعلها رذيلة •• الا اذا كان المخطىء قد أخطأ عن عمد ، ثم هو لم يندم ، ثم هو قد حاول أن يتهرب من مسئولية خطئه •• وهذا ما لم يحصل لحواء •• والقرآن يحدثنا عنهما فيقول : « قالا ربنا ظلمنا أنفسنا !! وان لم تغفرلنا ، وترحمنا ، لنكونن من الخاسرين •• وأنت تسأل ، بعد أن ذكرت خطيئة حواء : « فلماذا اذن لم تكن بداية أفعال البشر فضائل ؟؟ » ••

وأنا أجيبك بأنها كانت فضائل •• ولم تكن رذائل •• ولقد قال النبى : « ان لم تخطئوا ، وتستغفروا ، فسيأت الله بقوم يخطئون ، ويستغفرون ، فيغفر لهم •• » •• وهذا ما كان من حواء وآدم •• والحق أنه لا سبيل الى الحرية الا بممارستها ، وتحمل مسئولية الخطأ فى تلك الممارسة •• ولست أعرف تعريفا للديمقراطية أوفى من قولنا : « ان الديمقراطية هى حق الخطأ » ••

وانت تقول قولتك التى اعجبتنى : « لان الانسان الذى يمارس الفعل محكوم عليه بالحرية » وتقول عنه : « وهو دوما فى تعال وصيرورة » •• والحرية هى قمة الخير •• فان يكن الانسان محكوما عليه

بها فلابد أن تكون القوة الحاكمة عليه بقمة الخير ، ونهايته ، هى خيرا مطلقا ٠٠ وان يكن الانسان دوما فى « صيرورة » كما تقول ، فانه لابد سائر ، وصائر ، الى لانهاية ٠٠ سائر ، وصائر الى المطلق من الكمال ٠٠ ومن ثم فانى لا أكاد أفهم لماذا تقول أنت : « بذلك يمكن أن نكشف مدى الجفاف الثقافى لبعض النظريات ، والفلسفات ، القديمة والمعاصرة ، عندما تنظر بعين المطلق الى البشرية ٠٠ » ٠٠ ان هذا ليس جفافا ثقافيا ، يا صديقى وانما هو خصب ، وادراع ، ما عليه من مزيد ٠٠ نعم !! فان الامكانات البشرية ، فى الترقى كلما ظهرت ، وبأى شكل ظهرت ، فانما هى نسبية ، وليست مطلقة ٠٠ ولكنها لا تستقر على حال ، ، فى أى جزء من أجزاء الزمن ، مهما صغر ، وانما هى دوما فى «صيرورة» على حد تعبيرك ، تستهدف المطلق ٠٠ وتريد أن تجعل من كمالها المحدود ، النسبى ، كمالا مطلقا ، وما هى ببالغة ذلك ، لأن المطلق نهاية ، بلا نهاية ٠٠ المطلق نستطيع أن نحلم به ، ونستطيع أن نتخيله ، ونستطيع ان نشعر ، شعورا وجدانيا أكيدا ، بوجوده ، ونستطيع أن نسميه ، ولكننا لا نستطيع أن نحيط به فهما ٠٠وكلما أدركنا شيئا من صفات كماله غير المتناهى كلما ارتفعنا فى سلم كمالنا النسبى ٠٠ نحن نسمى المطلق : «الله» ٠٠ والله يخبر عن نفسه فيقول : «ليس كمثله شىء ٠٠ وهو السميع البصير ٠٠ » ٠٠ فلكأنه يقول : أنتم أيضا سمعاء ، وبصراء ، فأنتم تشاركوننى فى صفتى السمع ، والبصر ٠٠ والتحسين المستمر فى هاتين الصفتين ، وما اليهما ، انما هو « الصيرورة » المستمرة ٠٠ فكلما حسنتم من صفات كمالكم ، انكشفت لكم من صفات كمال المطلق آفاق جديدة ، فاستهد فتموها فى « صيرورتكم » ٠٠ فنهاية « صيرورتكم » مرتبة « الله » ٠٠ وهى مرتبة غير متناهية ٠٠ مطلقة ٠٠

لست أدرى !! هل أوسعتك ثرثرة فى هذا الكتاب ؟؟ وهل زججت

بك فى ميدان لا تريده ،وهو الدين ؟؟ ولكن ما ذنبى ، وأنت الـــذى بدأت بذكر حواء ؟؟ ثم انى لا أكاد أجد ، (على طول ما بحثت فى نتاج الفكـــر البشرى) ، غير الدين ، منهاجا فكريا يصل بك الى الأصول القائمة وراء ظواهر الشكول •• وفى الختام اليك تحية صديق معجب ••

أخوك

محمود محمد طـــه

كوستى

مستقبل الثقافة العربية فى السودان

كنت قد حضرت محاضرة ، فى منتصف الخمسينات ، القيت على طلبة المعهد العلمى عن « مستقبل الثقافة العربية فى السودان » واعتقد ان استاذا مصريا ، كان مبعوثا من الازهر للتدريس فى المعهد العلمى قد كـان محاضر تلك الليلة ، فقـام فى بالى توجيه هـــذا الكـلام ، واهديته لطلبة يومئذ ، وكـان قـد نشر فى الصحف فيما اظن :ـ

كل حديث ، منذ اليوم ، عن مستقبل اى قطر على هـــذا الكوكب يجب الا ينحصر فى الحـدود الجغرافية لذلك القطر ، ذلك لأن الوضع قد تغير عن ذى قبل ، واخذ عالمنا يستقبل عهدا جديدا ، كل الجدة ، من وحدة المصالح ، ووحدة المصير ، ووحدة الشـعور ·· والحـق ، الذى لا مرية فيه ، ان الحواجز التى كانت تفصل بين البشر ، فى الماضى ، لـم تعد قادرة على الحيلولة بينهم ، منذ اليوم ، بعـد ان قهرت سـبل المواصلات ، وسبل الاتصال الحديثة ، الزمان ، والمكان قهرا يكاد يكون تاما ·· بفضل الله ، ثم بفضل هذه الكشوف ، اصبحت الانسانية تعيش فى بيئة طبيعية جديدة ·· بيئة صغيرة ، موحدة ·· ولكى توائم الانسانية بين مذاهبها الاجتماعية ، وبيئتها الطبيعية هذه الموحدة ، اصبح لزاما ان تبرز ، الى حيز الوجود ، مذهبية اجتماعية ، عالمية ، موحدة ، أيضا ، عندها تلتقى الانسانية جمعاء ، التقاء أصالة ، بدوافع الجبلة المركوزة فى كل نفس بشرية ، من حيث انها بشرية ، بصرف النظر عن اختلاف اللون ، واللسان ، والموطن ··

وبنفس القدر الذى به ، اصبحنا ، نعيش فى بيئة جديدة فقد وجب علينا ان نفكر تفكيرا جديدا ، تفكيرا يتسم بالاحـاطة ، وبالشـمول ،

وبالدقة .. ووجب علينا أيضا ان نعيد النظر فيما تواضع عليه الناس ، فى العهود السوابق ، من مفاهيم ، ومدلولات ، ومن ذلك ، على سبيل المثال ، مفهوم كلمة « ثقافة » التى نحن بصددها الآن .. فقد تواطأ الناس على تعريفها بأنها مجموع المعارف ، والعلوم ، والآداب ، والفنون ، عند أمة من الامم .. وهم لذلك يتحدثون عن الثقافة العربية ، والثقافة الانجليزية ، او غيرهما .. واحب ان الاحظ هنا ان هذا التقرير خطأ ، وان التراث البشرى عامة ، فى المعارف ، والعلوم ، والفنون ، انما هو « وسيلة » الثقافة لا « الثقافة » نفسها .. ولقد يحتاج قولى هذا الى اعمال فكر .. فدعونى أوضح قليلا .. ولأبدأ بتعريف مبتسر « للثقافة » .. فالثقافة عندى هى تقويم النفس .. وهى ، بذلك ، علم ، وعمل بمقتضى العلم .. والنفس ، فى حقيقتها ، وفى جوهرها الأصيل ، محض علم ، ومحض خير ، ولكن طرأ عليها الشر ، طروء وافد ثقيل ، فاذهلها عن حقيقتها ، وغطى اصالتها بركام من الاوهام ، والاباطيل ، والى ذلك الاشارة بقول الله تعالى : «كلا !! بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون» وهذا مطلق ، على سائر الناس ، وليس قاصرا على الكفار .. «فالثقافة» عندى هى معرفة الحقيقة الازلية وترويض النفس عليها حتى تكون هناك مواءمة بين بدوات النفس ومقتضيات الحق ، وبذلك تعود النفس الى بيئتها الاصلية ، وتستعيد معرفتها الاولى ، وتزول عنها أوضار الجهالات ، وغواشى الشرور ..

ان العارفين لا يشكون أن معرفة الحقيقة الازلية مركوزة فى النفس البشرية ، من حيث هى بشرية ، وبصرف النظر عن ملتها ، ولكن البشر قد نسوا هذه المعرفة : « ولقد عهدنا الى آدم ، من قبل ، فنسى ، ولم نجد له عزما » .. وما عمل التعليم بنا الا تذكيره ايانا بما نسينا من هذه المعرفة القديمة الازلية — : «ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من

مدكر ؟؟ » أو اقــرأوا ، ان شئتم ، « سنريهم آياتنا ، فى الآفــاق وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق •• أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد ؟؟ » ••

ولا يجىء تذكر الحقيقة الأزلية الا على مكث ، وتمهل ، والا بعد البحث ، ورياضـــة النفس ، والصبر ، والا بالتوســـل بالوسائل الصحائح •• وخير هذه الوسائل وسائل الدين ، بشكل عام ، ووسائل الاسلام ، والقرآن بشكل خاص •• واول وسائل الاسلام فى هـــذا الطريق تبدأ من بداية بسيطة هى التصديق ، والعمل ــ مجرد التصديق باللسان ، ومجرد العمل بالجوارح ، بتقليب الأعضاء فى العبادة المفروضة على المسلم فى اليوم والليلة •• بهذا العمل البسـيط يبدأ تذكر الحقيقة الأزلية المركوزة فى كل نفس بشرية •• فأول العمل قول باللسان ، وعمل بالجوارح •• يترقى هـذا ، وكنتيجة محتومة ، ومضمونة ، بضـمان فضل الله الذى قال : « واتقوا الله ، ويعلمكم الله » ، يترقى الى قــول باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالجوارح ، وهذا هو المعــروف بالايمان •• ثم يزيد الايمان ، ويطـــرد ، ويقوى فى القلب ، فيستعمل الجوارح فى الطاعات ، فى مستوى العبادات ، ومستوى المعـــاملات ، وتبدأ بذلك استقامة النفس ، واستقامة السيرة ، ويطالع السالك بالامر العظيم ، الذى ورد على النبى الكريم ، « فاستقم كما امرت ، ومن تاب معــك ، ولا تطغوا » •• فـــاذا ما بلغت النفس « بالثقافة » طــور « الاستقامة » فقد تركت الطغيان ، وبرئت من الجهـــل ، وسلكت سلوك الآدميين ، ونشرت الخير ، والمحبة ، والسلام ، والمعــرفة ، كما تنشر الزهرة المعطار الشذا ، فى غـــير تعمل ، ولا تكلف •• « فالثقافة » اذن عــلم ، وعمــل بمقتضى العلم ، ويعبر عنها ، تعبيرا مباشرا ، قول الله تعالى : « اليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصـــالح يرفعـــه » ••

و « الكلم الطيب » ، كما قلنا آنفا ، هو معرفة الحقيقة الأزلية ، أو ، بتعبير آخر : « لا اله الا الله » .. وهى تبدأ بمجرد قولها باللسان .. و « العمل الصالح » التصديق برسالة محمد ، ومحاكاته فى العبادة ، والأخلاق ، وهى بذلك « أى الثقافة » فى متناول الاميين والمتعلمين ، على السواء .. وهذا هو السر الذى مكن القرآن ، والاسلام ، من خلق ارقى المثقفين فى العالم من الاميين ، والرعاة ـ محمد ، وابو بكر ، وعمر .. والحديث عن « الثقافة العربية » حديث خطأ ، ذلك لان « الثقافة العربية » انما هى « الثقافة الاسلامية » .. ومع أن الاسلام نشر اللغة العربية الا ان اللغة العربية لن تستطيع ان تنشر الاسلام .. ويجب ان يكون هذا واضحا ، فى اخلاد الذين يتحدثون عن العرب ، وعن اللغة العربية ، فى هذه البلاد ، وفى غير هذه البلاد .. وليس من همى هنا ان انكر على السودانيين كونهم عربا ، أو كون السنتهم شرائح مقدودة من السنة العرب .. ولست اذهب مذهب التقليل من شأن اللغة فى مسائل الثقافة .. ولكنى انما احب ان اقرر ان اللغة العربية « تابعة » للاسلام وليست « متبوعة » .. ولقد سمعت فى داركم يوما حديثا يصرف الناس عن نشر الفكرة الاسلامية الى نشر « الفكرة العربية » بل لقد قال مبعوث الازهر الشريف حديثا يجعل الاسلام وسيلة « القومية العربية » .. وذلك هوس زحم به المصريون المعاصرون رؤوس العرب ، واوشكوا ان يوردوهم به موارد الهلاك ..

اما بعد ، فان يكن لابد من التحدث عن مستقبل « الثقافة العربية » فى السودان فأنى أقول ان مستقبلها هو مستقبل نشر الفكرة الاسلامية فى بساطتها ، بالعودة بالناس جميعا الى الشعار المبسط بقولك : « أشهد ألا اله الا الله ، واشهد أن محمدا رسول الله » .. الا انه سيقولها اقوام ليسوا عربا ، ولا يكادون يحسنون نطقها ، كما قالها ،

من قبل ، بلال الحبشى ، وقلب شينها سينا ، وقال المعصوم : « سين » بلال عند الله « شين » ثم لم يضره ذلك شيئا ، فبلغ فى الاسلام المبالغ ، ونزل منه منازل التشريف •• ومستقبل نشر الفكـرة الاسـلامية ، فى بساطتها الاولى ، فى السودان ، مستقبل مرموق بعون الله ؛ وبتوفيقه ••

محمود محمد طه

لم كان الخلق في ستة أيام ؟؟

أم درمان ـــ مدينة المهدية الحارة الاولى
منزل نمرة ٢٤٢

في ١٩٦٨/٧/٢٠

حضرة الاخ الكريم عبد الكريم حسن ٠٠ تحية طيبة وبعد :ـــ

فقد اطلعت على الكتاب الكريم الذى وردك من الاخ الكريم السيد فهمى ، فتكرمت ، مشكورا ، فاطلعتني عليه ٠٠ ولقد ابهجنى هـــذا الكتاب ، واثلج صدرى ٠٠ فجزى الله عنى الاستاذ الفاضل خير الجزاء ٠٠

ويتساءل الاستاذ بعض التساؤل ، وابادر فاعتذر عن تأخير ردى عليه ، كما اعتذر عن عدم استطاعتى الاطالة فى الرد عليه ، فى الظـرف الحاضر ٠٠ ولولا انى نظرت ، فرأيت ان الوقت قد طال ، منذ ان وصلنى الكتاب ، لآثرت ان أؤجله الى ظرف انسب من هـذا ٠٠ ولكن لا بأس ، وليرض الاستاذ الفاضل عن الجهد المقصر الذى يجده أدناه :ـــ

يقول الاستاذ : « احب ان اعلم أيضا ماذا يكون مـن شأن النار ، وهل تتأجج نيرانها ابدا ؟؟ وما الابد ؟؟ ٠٠ ولم كان الخلق فى ستة أيام ؟؟ وماذا يكون من شأن اليوم السابع من الاسبوع ؟؟ »

وفى الاجابة عن أمر النار ابادر فاقرر انها منتهية ، بانتهاء الحاجة اليها ، فان الحكمة من النار سوق العباد الى الاذعان للربوبية ، بعـد ان تعييهم الحيلة فى دركاتها ٠٠ فاذا عجزوا عن النهوض بأمر انفسـهم ، ففروا من حولهم ، وقوتهم ، الى حول الله ، وقوته ، فقد عرفوا ربهم ،

فصار حقا على الله ان يكشف عنهم العذاب •• واهل النار يخرجون من النار حسب انابتهم الى ربهم •• فمنهم من ينيب من قريب ، ومنهم من ينيب من بعيد •• وابعدهم انابة ابليس •• ولكنه لابد منيب ، ما فى ذلك أدنى ريب •• ولا تكون انابته الا فى الابد •• والله تعالى يقول فى ذلك : « ان كل من فى السموات ، والارض ، الا آتى الرحمن عبدا * لقد احصاهم ، وعدهم عدا * وكلهم آتيه ، يوم القيامة ، فردا » •• واتيان العباد الله لا يكون بقطع المسافات ، وانما بتقريب الصفات من الصفات •• واقرب صفات المخلوق من صفات الخالق انما هى صفات العبودية •• والعبودية خاصة ، وعامة ••

فاما العبودية الخاصة فلا يدخلها الا العارفون بالله •• واما العبودية العامة فلا يخرج عنها مخلوق •• وانما تستخرج العبودية الخاصة ، من العبودية العامة ، كما يستخرج الحديد النقى من خام الحديد •• وانما ههنا مكان النار •• والنار منتهية ، لانها فرع ، وليست اصلا •• فان الاصل الخير المطلق ، وليس الشر الا طارئا على الوجود ، وسببه جهلنا نحن •• ذلك باننا نختار انفسنا عن الله ، وذلك لادعائنا الكفاية ، وتوهمنا المقدرة على القيام بامر انفسنا •• « كلا ان الانسان ليطغى * ان رآه استغنى » والطغيان جهل بقدر النفس ، يجعلنا نتجاوز الحد ، فى ادعاء القدرة •• فاذا ما باشرتنا الشدة فى النار ، وقلت حيلتنا فيها ، نوشك ان نعرف حقيقة انفسنا ، ومن ثم ، نعرف ربنا •• فقد قال المعصوم : « من عرف نفسه ، فقد عرف ربه » ، يعنى : من عرف نفسه بما هو عليه من العجز ، عرف ربه بما هو عليه من القدرة •• وههنا تتوقف النار فى حقنا •• وآخر من يصل الى هذه المعرفة ابليس ، ولا يصلها الا فى الابد ، فيخرج من النار الى الجنة ، وتنتهى النار بانتهاء الحاجة اليها ، كما اسلفنا بذلك القول ••

هذه حقائق التوحيد ، ولا يعتد هنا بظواهر الآيات ، لأن لظاهر الآيات باطنا لا يتوصل اليه الا بتجويد التوحيد ، لا بالتفسير الذى تحمله الى عقولنا اللغة •• ثم ان ظواهر الآيات تتحدث عن الخلود الابدى فى النار ، ولكن التوحيد يخبرنا بان الابد زمن ، وان الزمن الى نفاد •• فالابد هو زمن بقاء السموات والارض ، وهو من لدن فتق السحابة التى كانت تضم السموات والارض ، فى قوله تعالى : ((أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ، ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شىء حى ؟؟)) والى ان يعود هذا الفتق الى الرتق ، مرة ثانية ، على قاعدة : ((كما بدأنا اول خلق نعيده)) ، وذلك بعد تمام الدورة •• ونجد العبارة عن الأبد فى سورة هود على النحو الاتى : ((خالدين فيها مادامت السموات والارض)) وحقائق التوحيد تقول : ((كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ، ذو الجلال والاكرام)) •• وهذا يعنى ان البقاء لله وحده ، وكل مخلوق فهو الى فناء •• فالنار تفنى ، والجنة تفنى ، ولكن فناء النار اسرع من فناء الجنة ذلك لان الجنة اقرب الى الاصل من النار ، والاصل هو الخير المطلق — الله — والحديث عن هذا الموضوع يحتاج الى اطالة شديدة لا اجد لها الوقت الآن ، وقد اعود ، فلنكتف منها الان بما يكفى ••

واما خلقه تعالى الخلق فى ستة أيام فقد وردت الاشارة اليه فى قوله تعالى : ((ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، يغشى الليل النهار ، يطلبه حثيثا ، والشمس ، والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره •• الا له الخلق والامر ، تبارك الله ، رب العالمين)) •• والسؤال لم خلقهن فى ستة أيام ؟؟ اما من ناحية الزمن ، من حيث هو ، فان خلق الله تعالى فيه يشير الى التطور ، والترقى ، من بدايات الى نهايات لا تتناهى •• ولقد قال تعالى : ((انا

كل شيء خلقناه بقدر * وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر » •• فما خلق بقدر فهو عالم الخلق ، وهـــو خلق فى الزمن •• وما خلق فى غـير زمن أو يكاد . « كلمح بالبصر » ، فهو عالم الامر •• ولله عالم الخلق ، وعالم الامر ـ : « الا له الخلق والامر » •• وعالم الامر عالم فكر ، وهو مرشد لعالم الخلق ، الذى هو عالم جسد •• وارشاد الفكر للجسد انما هـــو توجيه ، وحفز ، فى مراقى التطور •• واما لمـاذا ستة ؟؟ فـلان اطوار الجسد ، فى سلم الترقى ، ستة ، وفى السابع تحصل قفزة فكرية ، هى جماع مزايا الاطوار الستة السابقة •• ولقد قال تعالى فى ذلك : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضـغة ، فخلقنا المضـغة عظاما ، فكسونا العظام لحما » ، فهذه ستة اطـوار ، وتوجها بالطـور السابع ، فقال : «ثم انشأناه خلقا آخر •• فتبارك الله ، احسن الخالقين» •• فهذا الخلق الآخر يمثل قفزة من اطوار المزايا الجسدية الى مزية عقلية ، هى الخلاصة المستخلصة من التطور فى سلم سباعى •• ثم ان لهذه الاطوار الجسدية مقابلا فى اطوار النفس البشرية . فهى سبعة اطوار أيضا ، منها ستة فى منطقة مجـاهدة ، والسابع خـلاصة للستة السابقـة •• وهى معروفة بالنفس الامارة ، والنفس اللـوامة ، والنفس الملهمة ، والنفس المطمئنة ، والنفس الراضـية ، والنفس المرضـية •• فهذه سـتة •• والنفس السابعة هى النفس الكاملة ، وهى جماع فضائل النفوس الست المتقدمة •• وآيات النفوس هى مقصـود الله بالاصالة ، وآيات الآفاق هى مقصوده بالنيابة ، والتبعية •• فكأنه اتخذ آيات الآفاق كوسـيلة لترقية آيات النفوس •• ولقد قال تعالى : « سنريهم آياتنا ، فى الآفاق ، وفى انفسهم ، حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه علـى كل شيء شهيد ؟؟ » •• فلما كان العقل (النفس البشرية) يتطـور فى سلم

سباعى ، درجاته الست الاولى بطيئة ، ودرجته السابعة قفزة ، تمثل خلاصة الفضائل الرفيعة ، المستجمعة من الدرجات الست ، ولما كانت العوالم المحسوسة ، الخارجية ، قد جعلت مرشدة ، ودالة ، لعالم الانسان الداخلى ، (العقلى) فان الله خلق السموات والارض فى ستة اطوار ، عبر عنها بالايام الستة ، ثم ، فى الطور السابع ، جمع فضائل الاطوار الستة الماضية ، وعبر عنها ب « ثم استوى على العرش » •• ولقد عبرت عنها التوراة بانه تعالى : « ارتاح فى اليوم السابع » ، وهو عندهم يوم السبت ، وهذا ، على مستوى معرفتهم بالله ، حق ، ولكنه باطل ، فى مستوى معرفة اهل القرآن بالله تعالى •• ولقد قال تعالى ، اشارة الى زعم اليهود •• « ولقد خلقنا السموات والارض ، وما بينهما ، فى ستة أيام ، وما مسنا من لغوب » ••

وفى هذا الطور السابع اسرار عظيمة جدا ، فى العبادة ، ولا يتسع المقام لها الآن ، ولكن يكفى ان نذكر منها ان هناك جلسة استراحة خفيفة ، فى صلاة المصلى المجود ، بعد الرفع من السجدة الثانية ، فى الركعة الاولى ، وقبل القيام للركعة الثانية ، فى كل صلاة ثنائية ، أو ثلاثية ، وقبل القيام للركعة الثانية ، والرابعة ، فى كل صلاة رباعية •• وكل المصلين ، من غير الجمهوريين ، لا يفعلونها ، مع انها هيئة صلاة النبى •• وانما مأخذها من ههنا — من : « ثم استوى على العرش » ، فان فى كل ركعة سبع حركات ، ولا تنعقد الركعات الا بهذه سبع الحركات ، وهى قيام ، وركوع ، ورفع من الركوع ، وسجود أول ، ورفع منه ، وسجود ثان ، ورفع منه •• وهذه سبع الحركات متميزة فى الركعة الثانية ، وكذلك فى الركعة الثالثة ، فى الصلاة الثلاثية ، وهى أيضا متميزة فى الركعة الرابعة ، فى الصلاة الرباعية ، ولكنها لا تتميز فى الركعة الاولى ، ولا فى الركعة الثالثة ، من كل صلاة ثنائية ، أو رباعية ، الا

بجلسة الاستراحة الخفيفة التى ذكرناها ، ولقد وردت هــذه الهيئة فى كتيب : ((طريق محمد)) الذى اخرجه الحزب الجمهورى ، ودعا الناس اليه ..

ثم ان الاســتاذ الكريم تفضــل بملاحظة حول اســتعمال كلمة ، ((نزعم)) ، فى رسالة الدستور ، وكلمة : ((نظن)) ، فى الرسالة الثانية ، وقال : ((كنت احب ان يؤكد لنا ، ويوقن)) .. وهذه الملاحظة ، فى حــد ذاتها ، تدل على دقة الاستاذ فى متابعة ما يقرأ ، وعلى شدة تقديره لمــا يقرأ ، فهو لا يرى ان هناك كلمات وضعت بصورة عفوية ، ويرى ان كل كلمة وضعت انما وراءها قصــد ، وتصــميم .. وان ذلك لكذلك .. والجواب على التساؤل قريب ، فان الكاتب فى المعارف الالهية ينبسط ، وينقبض ــ ينبسط بعلم الله عنده ، وينقبض بتعليم الله اياه .. وهو فى الحالين صاحب يقين ، ولكنه ، فى حالة القبض ، يطالع بقــوله تعالى ، ((اطلع الغيب ، أم اتخذ عند الرحمن عهدا)) فيرد الى تواضع اذ يعلم انه لم يتخذ عند الرحمن عهدا .. هذا واحب للاستاذ الكــريم ان يعتبر عبارة ((نزعم)) ، وعبارة ((نظن)) ، انهما عبارتا يقين ، كلتاهما ..

هذا ولك ، وللاستاذ الكريم فهمى ، فائق تقديرى ..

المخلص

محمود محمد طــه

بعض رسائل ومقالات

هذا الكتاب

- التعليم ..
- اوما علمت ان الارض قد التحقت باسباب السماء ؟
- الصلاة على النبى .. بين المؤمن ، والمسلم ..
- متى قال الله : يا عيسى بن مريم !! انت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله ؟
- الله نور السموات والارض
- الامر التكوينى .. والامر التشريعى — ما هما ؟
- هل فى الامكان استنباط عالم خال من الشر ؟
- ايمان المقلد !! هل به نجاة ؟
- مستقبل الثقافة العربية فى السودان
  « مهداة الى طلبة المعهد العلمى »
- لم كان الخلق فى ستة ايام ؟
  وما مصير النار !!

هــذا الكتــاب :

« الذين يهتدون بالعلم ، ويهدون به .. فان العلم هو وقود الفكر .. والفكر هو سر الحياة !! » ..

« فهذا كتاب فى اتجاه التعليم ، وفى اتجاه زيادة التعليم باطراد » ..

هذا الكتاب :

« فقد قرات لك كتابك القيم الذى تعرضت فيه لمناقشة خطابنا الى رئيس منظمة اليونسكو ولقد طابت لك نفسك ان تسوق كتابك الضــافى تحت عنــوان طريف : « تكرموا بانزال الفلسفة من السماء الى الارض » ولكنى لا احب ان ازايل مقلمى هذا قبل ان اوكد لك ان الارض فى تفكيرى قد التحقت باسباب السماء » ..

هذا الكتاب :

« فقد سالت انت فى احد مجالسنا الليلية بمدنى : « واذ قال الله : يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين .. الخ الآية .. سالت : متى قال الله ذلك ؟؟ »

« واضح لكل من يعرف التوحيد انه لا يمكن ان يقال ان اللــه ســيقول يوم القيامة ، لان الله قائل فى الازل وفى الابد وفيما بين ذلك وفى كل لحظة »

هذا الكتاب :

« كيف ينسجم وجود الشر ، بصوره المختلفة مع وجود قوة خــلاقة خيرة »

« هذه جميعها اسئلة شيقة وقبل ان اشرع فى الرد عليها احب ان اقــرر حقيقتين دقيقتين ، هامتين ، من لا يعرفهما لا يستطيع ان يدرك كبريات حقائق الوجود ..